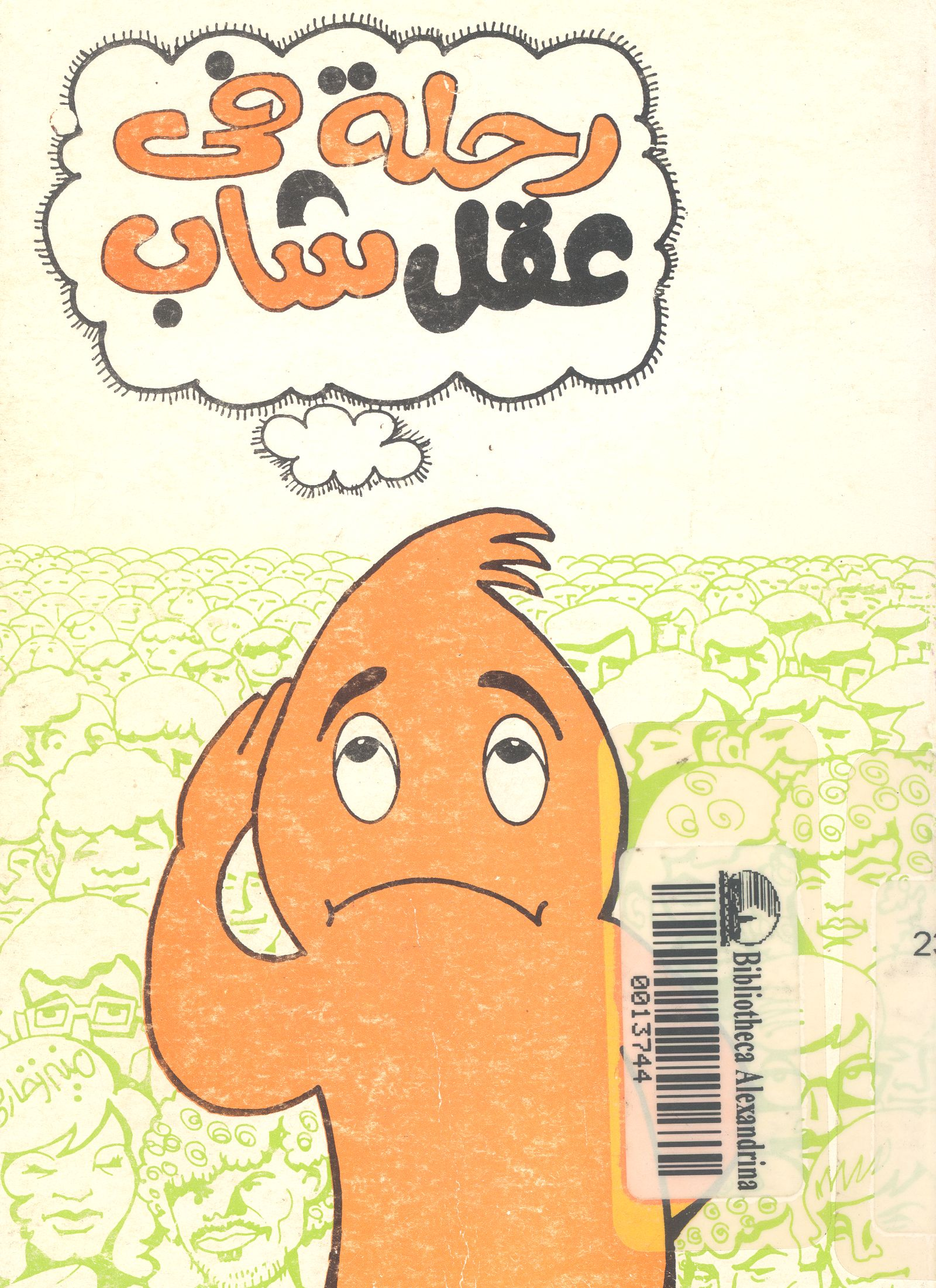

رحلة في
عقل شاب

رحلة في عقل شاب

بقلم: مجدي جرجس



طبعة ثالثة

رحلة في عقل شاب

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٥٧٢ ط٣ / ٢-٩٦ / ٨٤ ٩٥ - ٩٦

رقم الإيداع بدار الكتب: ٤٢٢٨ / ٩٦

I.S.B.N 977 - 213 - 311 -3

طبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: منير زخاري

الرسوم الداخلية: د. ماجد عزمي

إهـــــــداء

إلـــى أمـــي:

التي كانت لي نعم الأم والأب والصديق منذ نعومة أظفاري وقادتني إلي معرفة الله.

مجدي جرجس

هذا الكتاب

مهما تقدم العلم وامتدت الحضارات وارتقت البشرية واتسعت مدارك الإنسان- فستبقي الأسئلة الحائرة التي اجتهد في تفسيرها المفسرون من شتي المذاهب والفلسفات حول طبيعة الإنسان وطبيعة الله والعلاقة بينهما- ستبقي بغير إجابة شافية مشبعة طالما نظر إليها بمنظار مادي عقلاني.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يتعرض لهذه القضايا بمنظور عقلي وروحي محاولاً الإجابة علي العديد من الأسئلة الحائرة مثل:

من أنا.. ؟ ولماذا ولدت هكذا ؟ ومن هو الله؟.. ما هي طبيعته؟ كيف نؤمن؟ هل يمكن تطبيق القيم الدينية؟.. الخ من الأسئلة التي كثيراً ما تشغل عقل الناس وخاصة الشباب منهم.

تناول الكاتب هذه التساؤلات وعرض إجاباتها بأسلوب سهل بسيط يدعمه بأمثلة من الحياة اليومية حتي يقودك إلى الاقتناع.

لقد نجح الكاتب في عرض تلك القضايا وشرح الرأي فيها بأسلوبه السهل حتي أنك لا تستطيع أن تدع عنك الكتاب قبل أن تفرغ من قراءته.. وتتمني لو قدمته لأصدقائك.

لهذا حرصت دار الثقافة علي نشر الكتاب ضمن ما تقدمه من كتب للشباب بأمل أن يجدوا فيه ما يشبع فضولهم ويريحهم من حيرتهم.

دار الثقافة

الفهرس

مقدمة

لقد أعطانا الله هبة العقل الذي نفكر به، العقل الخلاق الذي يبدع، ويخترع، وينتج... هذه هي عطية الله الفريدة للإنسان. لكن هذا العقل يظل عاجزاً عن إدراك بعض الأسئلة التي تدور في ذهن الإنسان- كبيراً كان أم صغيراً- البعض يطلق عليها أسئلة الإنسانية الأساسية.. أو أسئلة الحياة الصعبة مثل: من أنا؟ أو من هو الإنسان؟ كيف أتي وعلي أى أساس خلق أو عمل؟ ثم ما هي الحياة أو لماذا خلق الإنسان وباقي الخلائق؟ كذلك ما هي القيم أو علي أى أساس يكون لنا الاختيار بين الصواب والخطأ؟ ما هو الحق؟ لماذا يوجد ألم وحزن وضيق في الحياة؟ لماذا يموت الإنسان وباقي الكائنات الحية؟ وما هو مستقبل الإنسان؟ أو ماذا بعد الموت؟ هل يوجد عالم فوق الطبيعة مثل الملائكة والأرواح؟ ما هو الحب؟ ما هو الشر؟ ومن خلق الشر؟

كل هذه الأسئلة وغيرها قد تكون مرت بتفكيرك وبتفكير كثيرين غيرك..

والهدف من هذا الكتاب لا أن نجيب عن كل هذه الأسئلة.. أو نقدم بحثا في علم الأجناس وتاريخ الإنسانية والحضارات.

لكن في كتابنا هذا سوف نجيب علي ثلاثة أسئلة رئيسية فقط وهي:

* من أنا؟

* لماذا وجدت؟

* وإلى أين أذهب؟

والغرض من الإجابة ليست مجرد المعرفة التقليدية ولكن أن يكون لنا من خلال الإجابة معرفة لسر الحياة، ومعرفة لله الخالق.. معرفة حقيقية تعطي للإنسان أن يكتشف معني حياته والمصدر الحقيقي للقيمة الأصلية في الإنسان، وبالتالي يكتشف هدف وجوده.. ذلك الهدف الذي يستحق أن يحيا الإنسان لأجله.

أدعوك الآن أن تقرأ «بالترتيب» هذه الفصول حيث أن كل فصل يعتمد علي معلومات ما قبله من فصول.. راجياً أن تجد استمتاعاً في القراءة وبركة لحياتك»،،

المؤلف

الفصل الأول
من أنا؟ ولماذا وجدت؟

كثيراً ما يتساءل المرء: من أنا؟ لماذا أنا موجود؟ من هو الإنسان؟ وماذا تعني الحياة بالنسبة لي؟ لماذا يجب أن نموت؟ وماذا يحدث بعد الموت؟ وهل يمكن أن نعرف أين نذهب بعد الموت؟

ألم تصادفك هذه الأسئلة في حياتك؟ لقد صادَفَتْ الكثيرين قبلك.. لقد فكر **سليمان الحكيم** في هذه الأسئلة.. كما شغل بها كثيرون من الفلاسفة والأدباء.. أجاب **سليمان الحكيم** في بحثه عن معني الحياة [1]: «كل هذا امتحنته بالحكمة. وقلت أكون حكيماً، أما هي فبعيدة عني. بعيدٌ ما كان بعيداً والعميق العميق من يجده، دُرْتُ أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون».

وقد عبر (ليو تولستوي)[2] الكاتب الروسي الشهير واصفاً كيف أنه من المستحيل أن نهرب من أسئلة الحياة التي تواجهنا قائلا: «ما هي الحياة؟ هل هي الموت؟ أو هي انتظار الموت؟ هل عليّ أن أحيا؟ ثم أموت.. لكن لأي سبب أنا موجود؟ هل أحيا لكي أموت؟ ألا يوجد مخرج لي من هذه الدائرة؟ وعندما سكّنت نفسي للحظات لكي

---

(١) سفر الجامعة ٧: ٢٣- ٢٥

(٢) ليو تولستوي- ذكريات رجل مخبول.

أطرد الفكر أو أنساه للحظات.. عاد مرة أخري يلح نفس السؤال، نفس الخوف. فاستلقيت وأغمضت عيني فما زال الأمر بالغ السوء».

وقد عبّر شاب عن حيرته قائلاً: وعندما شرعت في التفكير وجدت أن هذا الأمر يبدو خارج نطاق إرادتي وليس لي فيه يد.. فأنا لم أختر أن أولد، وربما لم تكن لدي والديّ الرغبة في إنجابي.. وكطفل ورثت صفات معينة من والديّ، قد تكون لون العينين، الطول، القصر، الشكل... الخ ولما كبرت اكتسبت صفات أخري من البيئة التي نشأت فيها، لغة معينة، عادات وتقاليد معينة.. الخ. وأنا لاأستطيع أن أهرب من حقيقة أنني ولدت في بلد معين، في وقت معين، وذهبت إلى مدارس معينة.. وهكذا ففرص الاختيار المتاحة لكل واحد منا محدودة وكلما زاد فقرنا وقلت مواهبنا قلت بالتالي فرص الاختيار أمامنا.

وعلي نفس المنوال وجدت نفسي أتساءل: «لماذا أنا مصري؟ أو سوري أو أوروبي، أفريقي أو أمريكي؟ لماذا يكون هذا لون بشرتي وملمس شعري؟ لماذا يكون شكلي هكذا؟ بل لماذا أنا مسيحي؟ أو مسلم.. يهودي.. أو بوذي.. الخ؟ وما ذنب هؤلاء الذين ولدوا ليجدوا أنفسهم في بلدان فقيرة تفتقر إلى مصادر الرفاهية.. بل ما ذنب هؤلاء الذين يموتون جوعا أو برداً أو بسبب الكوارث الطبيعية أو ظلم الحكام، ولو توفر لهم قدر أكبر من الرعاية أو الحرية لاستمتعوا بحياة أفضل.. تري ما الذي سيحدث لو ولدت في بلد

يعبد الأوثان؟ هل كنت أصبح وثنياً مثلهم؟ وهل أنا أعتنق ديني الحالي لأني ولدت ووجدت نفسي فيه؟

هذه الأسئلة وغيرها بالإضافة إلى الدافع الأخلاقي لفعل الخير الموجود في كل إنسان الذي يبحث عن تمييز الصواب والخطأ في أمور الحياة المختلفة كما يبحث عن معني وهدف هذه الأمور.

كل هذا يجعلني أسأل: **ما هو الإنسان؟ وما هو معني الحياة؟ لماذا أنا موجود؟ وإلي أين سأذهب بعد الموت؟**

هل أنا موجود رغم إرادتي وليس لي اختيار في الحياة أو في نوع الحياة.. وقد تصدي الكثيرون علي مر العصور لمحاولة وضع إجابة شافية لهذه التساؤلات، وتمخضت هذه المحاولات عن مجموعة من المدارس الفكرية أو الفلسفات، وبالطبع لن نستعرض كل الآراء لكن سوف نستعرض أهمها وأكثرها علاقة بموضوعنا وظروفنا.. تعالوا معا نستعرض بعض الإجابات عن هذه الأسئلة..

* هل أنا موجود بمحض الصدفة ؟ لغير هدف ؟



عزيزي.. هل ستكون راضياً لو قلت لك إن الإجابة عن كل تلك الأسئلة هي أننا موجودون «**لمجرد الصدفة**» أو نتيجة للتفاعل العشوائي لقوي الطبيعة المختلفة...

بعض الناس يؤمنون بهذا المذهب في إجابتهم علي مثل هذه الأسئلة.. كما يقول المؤمنون بالعلم وما وصل إليه من اكتشافات إن الكون يسير وفق قواعد ونظريات علمية ثابتة لا تترك مجالا للصدف أو لتدخل من إله.

ومع هذا فالعلم لا يستطيع أن يفسر كافة التساؤلات فهناك

قضايا ذات صبغة معنوية وأخلاقية لا يمكن أن يجاب عنها في إطار العلم.. وهكذا نري أنه ليس بالعلم ولا بالإيمان بالصدفة يمكن أن نجيب عن تلك الأسئلة.

أما أصحاب الرأي الثاني فيتمثل فكرهم في السؤال التالي:

* هل أنا مجرد مادة تحيا لأجل أمور مادية:



قال أحد العلماء [١]: إن مكونات الإنسان المادية هي: *دهن:

---

(١) بروفسور سي. اي. ام جود.

كمية كافية لصنع ٧ قطع من الصابون، * **حديد**: كمية كافية لصنع مسمار واحد من الحجم المتوسط، * **سكر**: كمية كافية لتحلية ٧ أكواب من الشاي،* **جير**: كمية كافية لتطهير عشة فراخ صغيرة،* **ماغنسيوم**: كمية كافية لجرعة ملح واحدة،* **فسفور**: كمية كافية لصنع ٢٢٠٠ رأس عود ثقاب،* **بوتاس**: كمية كافية لعمل الاحتراق في لعبة متحركة صغيرة،* **كبريت**: كمية كافية لتطهير كلب واحد من الحشرات في جسمه.

فإذا نظرت إلي هذه العناصر فلن تجد عنصراً واحداً لا يوجد في باقي الكائنات الحية، ومن هنا جاءت التعريفات المختلفة للإنسان بأنه حيوان مفكر أو حيوان عاقل.. لكن كل هذه المكونات المادية لا تساوي إلا بضعة جنيهات قليلة.

هل هذا هو الإنسان؟ يقول البعض ساخراً إن الإنسان عند مولده يشغل مساحة متر مسطح وعند وفاته يخصص له متران مسطحان.. فهل حياة الإنسان كلها لا تساوي أكثر من متر مسطح زيادة عند الوفاة..

والشيوعية تتبني المبدأ المادي، وتسعي لتدبير الأمور المادية لأفراد المجتمع حتي لو استلزم هذا التضحية بأفراد جيل أو أكثر من أجل إسعاد الأجيال القادمة.. وهذا ما حدث خلال الـ ٤٠ سنة الماضية في الدول الشيوعية. ثم حدث ما رأيناه أخيراً عام ١٩٨٩ وهو الانهيار السريع لكل الإمبراطورية الشيوعية التي تتبني المبدأ المادي

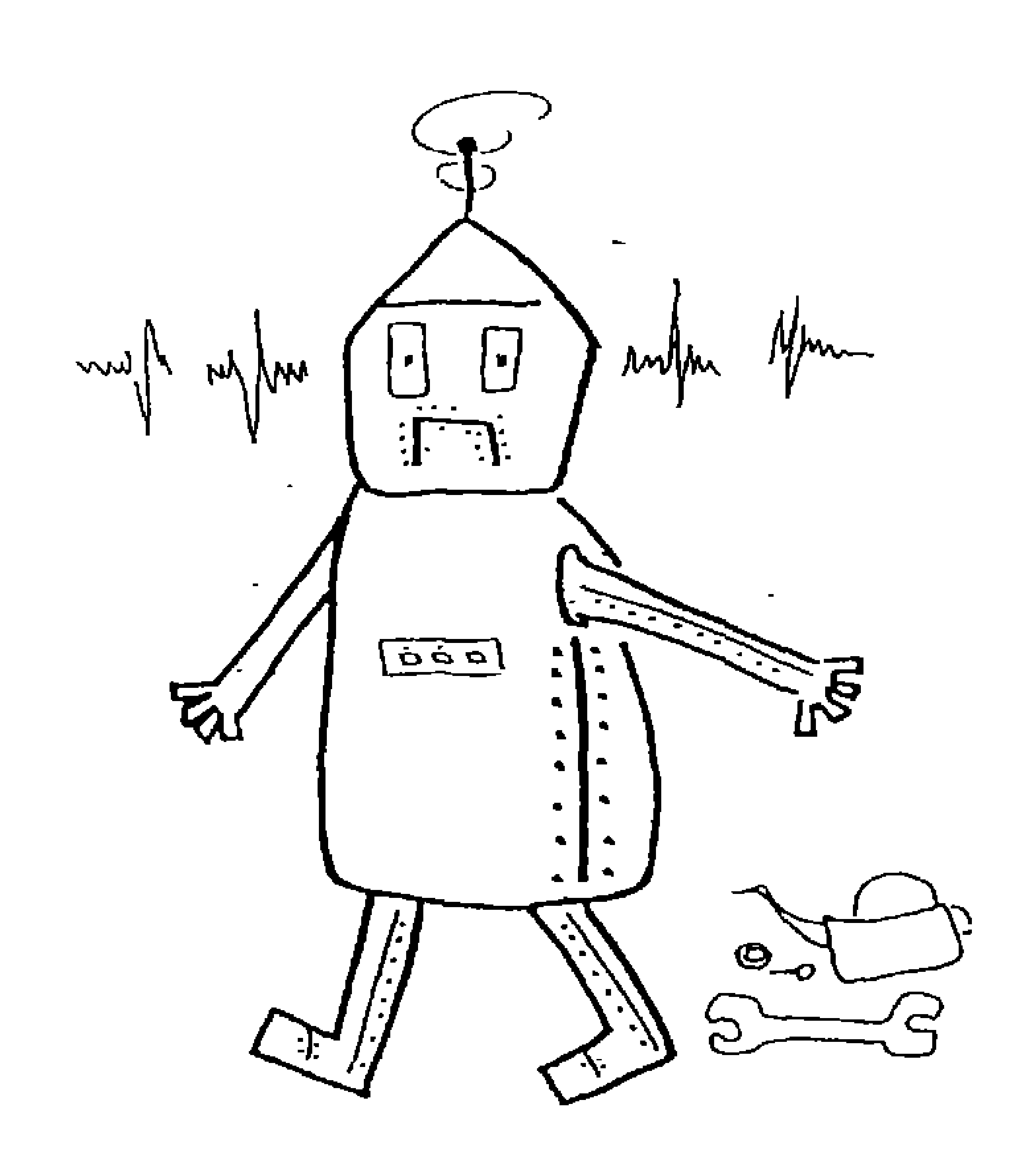
وكأن الإنسان ليس له احتياجات روحية.. كثيرون امتلكوا المال، والقوة، والمواهب، والشهرة وأخيرا أقدموا علي الانتحار مثل «مارلين مونرو» ممثلة السينما الأمريكية، الجميلة، الغنية، الشهيرة.

ألا تتفق معي أن الإنسان يحتاج إلى ما هو أكثر من المادة والأشياء المادية؟؟ ألا تري أن الإنسان هو أكثر من مجرد جسد مادي وعقل يفكر به..

نحتاج إذاً أن نعرف ما هو هذا «الأكثر» من مجرد الجسد والمادة...

أما الفكر الثالث فهو:

* هل أنا مخلوق بلا إرادة لتنفيذ قدر مجهول:

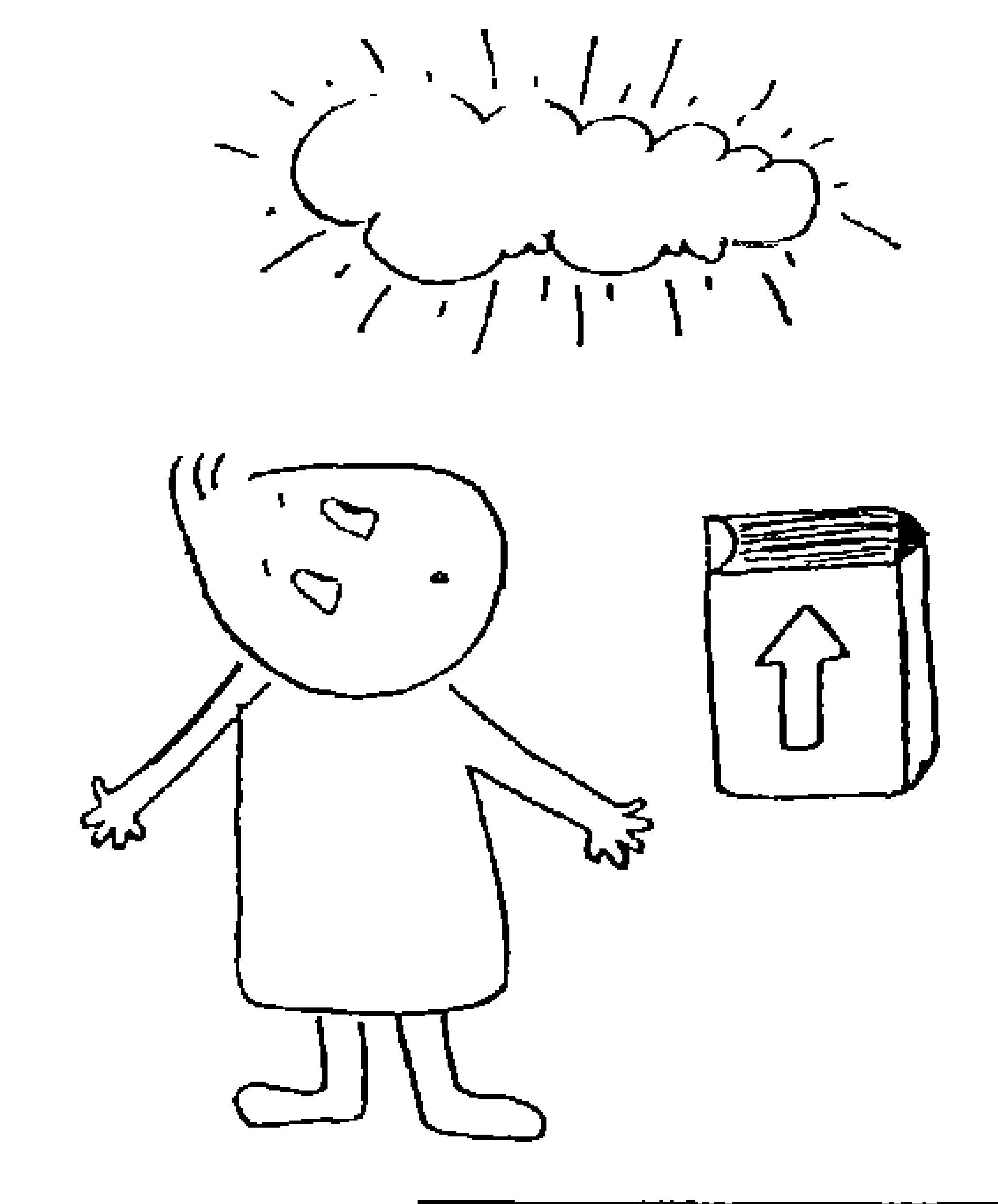


يميل الإنسان بطبعه أن يلقي تبعة كل العقبات التي يصادفها علي قدر مجهول.. فإذا صادف فشلاً فهو القدر، وإذا مات شخص فهو القدر. وهو يعتقد أنه بذلك يريح نفسه فلا يشغل عقله وضميره..لأن القدر هو المسئول دائما.. والقدرية هي أكثر ما يؤمن به المتخلفون ثقافيا فمن وجهة النظر هذه كل شيء مقدر سابقاً وليس علي الإنسان إلا الاستسلام والخضوع.. فإذا كان مقدراً للإنسان أن يشقي في حياته أو يسعد، أن يكون غنياً أو فقيراً، صحيحاً أو سقيماً، ناجحاً أو فاشلاً فهو إزاء ذلك لا يملك إلا الاستسلام والخضوع.. بل حتي تصرفات الإنسان والحوادث اليومية من خير أو شر هي مقدرة من قبل وعلي الإنسان أن يستسلم لقدره.. فمثلا إذا سار شخص في الطريق وأصيب نتيجة سقوط «أصيص للنباتات» من شرفة علي رأسه، فهذا هو القدر مع إهمال أن هناك إنساناً أخطأ بطريقة ما في وضع هذا الأصيص على سور الشرفة.. وهذا الفكر نجده واضحاً في الريف المصري، فقد لا يجني الفلاح محصولاً جيداً بسبب إهماله، ومع هذا فهو يبرر إهماله بالقدر.. فهذا الفكر وإن أظهر سيادة الله وسلطانه إلا أنه يعتبر قاصراً في توضيح مسئولية الإنسان تجاه نفسه وحياته.. فالله الذي خلق الإنسان وأحبه وسخّر كل الأشياء والمخلوقات من أجل إسعاده قد وهبه أيضا حرية الإرادة وحرية الاختيار فلا مجال إذاً لأن نبرر تقصيرنا بتدخل الله وإرادته.

* يعرف الإنسان من هو ولماذا وجد إذا عرف كيف ولماذا خلق:

يمتاز الإنسان عن باقي الكائنات الحية بأن له القدرة علي التفكير «أي أن له عقل» والقدرة علي الانفعال كالحب والكراهية «أي أن له عواطف».. كذلك القدرة علي اتخاذ القرارات والاستفادة من التجارب السابقة [١] «أي أن له إرادة».

«خلق الإنسان علي صورته كشبهه» (سفر التكوين ١: ٢٦و ٢٧).. فقد خلقنا الله لنعكس صورة من صفاته «فهو حي عاقل ناطق».. فلا يوجد مخلوق آخر علي وجه الأرض يتمتع بمثل ما يحوزه الإنسان.



(١) أحدث تعريف للإنسان هو أنه «كائن حي له تاريخ» فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستفيد من تجاربه السابقة، وهذا التعريف حل محل التعريفات السابقة والتي منها أن الإنسان حيوان ناطق أو مفكر.

وللإجابة علي السؤال الثاني: «لماذا وجدت» دعنا نتعرف علي حكمة الخالق الذي هو الله حتي نعرف الإجابة الصحيحة.. وكما أن أفضل طريقة لمعرفة كيفية تشغيل جهاز معين هو قراءة «الكتالوج» أي كتاب المصنع لمعرفة الهدف من انتاجه، هكذا معرفة حكمة الخالق في خليقته تقودنا إلي الإجابة عن السؤال: ما هدف وجود الإنسان؟

أهدي مرة أحد الأصدقاء ابنيَّ الاثنين لعبتين كل منهما عبارة عن صورة مجزأة إلى قطع صغيرة، وأصل الصورة مثبت علي غطاء العلبة (Puzzle) ورغم المحاولات اليائسة التي قام بها ابني وابنتي فإنهما لم يستطيعا أن يكونا الصورة رغم معاونتنا لهما.. وأخيرا اكتشفنا أن الطفلين قد أبدلا سهواً غطاءى العلبتين كل محل الأخري.. وبتصحيح الخطأ أمكن في دقائق معدودات تركيب أجزاء كل صورة كاملة معا.

بنفس الطريقة لن نعرف صورتنا الحقيقية والهدف من وجودنا إلا بمعرفة رأي الخالق صاحب الصورة الأصلية.. بل صانع الصورة الحقيقية.

حين خلق الله الإنسان علي صورته كشبهه كان يستهدف أن يكون

بينه وبين الإنسان شركة وعلاقة فأنت كإنسان لا يمكن أن «تقيم علاقة شخصية» أو شركة مع كائن مختلف عنك تماماً.. مثلاً ليس له عقل أو عواطف أو إرادة مثلك.. فليس من المعقول أن أشارك كلبا مهما كانت مهارته أو جمال صورته- أشاركه أزمة عاطفية أمر بها أو مشكلة أو مشروعاً هاماً في حياتي.. فتلك الأمور لا يمكن أن أشارك فيها إلا إنساناً مثلي.. وبنفس الطريقة: لقد خلق الله الإنسان علي صورته كشبهه لتكون له شركة أو علاقة معه فيتلذذ الله بالإنسان كخليقته الممتازة.

هنا.. وهنا فقط يعرف الإنسان هدف وجوده أو سبب خلق الله له إذا ما صارت له **شركة وعلاقة شخصية** مع الله الخالق.

إذن فالشخص الذي يعيش وفق قصد الله ومشيئته يستطيع أن يكوّن شركة مع خالقه ويتفهم إرادته ويكتشف ذاته في ضوء هذه العلاقة الشخصية.. وكلما نمت علاقته مع الله ازدادت معرفته بذاته وبذات الله، مثل الابن الذي ينمو في شركته وعلاقته مع أبيه الأرضي.. فكلما ازدادت هذه العلاقة عمقا كلما أدي ذلك الي مزيد من الطاعة من جانب الابن ومزيداً من الحب وتبادل المشورة بين الطرفين.

إن مأساة البشرية هي أن الإنسان حاد عن الطريق الذي قصده الله

له فقد اختار الإنسان أن يسلك في طريقه الخاص حتي ولو كان هذا ضد إرادة الله- وهذا ما نسميه الخطية- وهكذا ابتعد الإنسان عن الله وأصبح مثل الابن العاق الذي لا يعرف معني الحب الأبوي.. وبالتالي فقد الإنسان معني وهدف وجوده وغابت عنه إجابة هذه الاسئلة: من أنا؟ ولماذا وجدت..؟

أين أذهب

أما السؤال الأخير: أين أذهب؟ فالإجابة عنه تترتب علي معرفة إجابة السؤال السابق. فعندما أعرف الله معرفة شخصية وأعرف هدف وجودي فالله يضمن لي الأبدية وبالتالي سأعرف أين أذهب بعد الموت[١].

فأنا مخلوق علي صورة الله وُجدت لكي تكون لي شركة أو «علاقة شخصية» مع الله.. بكلمات أخري لا يمكنني أن أعرف من أنا إلا إذا **عرفت الله**.. مع ملاحظة أنه يوجد فرق كبير بين كلمتي **«يعرف»، «يعرف عن»**.. فاللفظ الأول يعني العلاقة الشخصية والمعرفة الجيدة للشخص.. أما «يعرف عن» فقد تفيد مجرد السماع عن الشخص أو رؤيته مرة أو مرات قليلة أي لا توجد معرفة أو علاقة شخصية. وكما قال القديس أغسطينوس: «ياالله لقد خلقتنا لنفسك وقلوبنا لن تستريح حتي تجد راحتها فيك».

(١) تفاصيل هذا الموضوع في الفصل السادس صفحة ٨٢

فالكتاب المقدس يفسر لنا سبب وجودنا كمخلوقات علي صورة الله: هو أن تكون لنا معرفة حقيقية وشخصية مع الله. بها نصير أبناء الله.. يحبنا الله ونكون أعضاء في عائلته. والشخص الذي يعلم أن الله سيد حياته، سواء كان عمله مثيراً أو عادياً، سواء كان فقيراً أو غنياً، كانت له عائلة وأصدقاء يفخر بهم أم لا، فهو يعلم من هو.. له شخصية لها قيمتها كمخلوق علي صورة الله تعطي لحياته معني اليوم، وغدا، وإلي الأبد.

الآن عرفنا أن الإنسان مخلوق علي صورة الله وأن المعرفة الشخصية لله تجيب عن تلك الأسئلة المحيرة: من أنا؟ ولماذا وجدت؟

إلا أن الإجابات تحتاج إلي مزيد من التفاصيل ليصل الإنسان إلي الشبع الفكري.. إذ أن الأمر يقودنا إلي تساؤل آخر منطقي: من هو الله؟ ذاك الذي يتحتم أن أعرفه لتكون لي معه علاقة شخصية.

لقد قال (أ. توزر): «إن أكثر الأشياء أهمية بالنسبة للإنسان هو ما يؤمن به بالنسبة لله.. إن أساس إيمان الشخص وسلوكه وعبادته إنما تعتمد علي درجة معرفته بطبيعة الله».

تعال عزيزي القاريء إلي الفصل القادم لنعرف معا إجابة هذا السؤال الخطير:

من هو الله؟

الفصل الثاني

معرفة الله.. وهدف وجودي

قال أحد الكتاب [1]: «إن الاعتقاد بوجود الله هو جوهر التدين، وفكرة الإنسان عن هذا الإله تحدد أسلوب حياته، والفرق بين الأنماط المختلفة لسلوك الناس يرجع إلي حد كبير إلي عقيدتهم في طبيعة الإله الذي يعبدونه».

فإذا كانت المعرفة تؤدي إلي الاعتقاد الراسخ أو هي جزء منه لذلك فهي في غاية الأهمية حتي أن الله قال علي لسان إرميا النبي: «هكذا قال الرب. لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه بل بهذا ليفتخرنَّ المفتخر بأنه **يفهم ويعرفني** أني أنا الرب» (سفر إرميا ٩: ٢٣و ٢٤).

كذلك قال الله علي لسان النبي هوشع: «إني أريد رحمة لا ذبيحة **ومعرفة الله** أكثر من محرقات» (سفر هوشع ٦: ٦).

مما سبق نجد هدفاً وأساساً لحياتنا، فعندما نفهم أن شغلنا الشاغل هنا علي الأرض هو أن **نعرف الله** فأغلب مشاكل الحياة سوف تأخذ حجمها الحقيقي ولا يوجد بعد من يقول: «إن الحياة عبارة عن نكتة

(١) ق. فايز فارس- إلهي ما أعظمك- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٨٦.

سخيفة».. أو مثل ما قالت ماري انطوانيت ملكة فرنسا: «لا شيء له طعم في الحياة...».

ففي رأي هؤلاء أن كل شيء في الحياة عبارة عن مشاكل أو أمور مملة فلا شيء يبدو له قيمة. لكن الشيء الذي يجعل للحياة قيمة هو وجود هدف لها كبير وعظيم. شيء يجذب أفكارنا. وهذا ما يملكه المؤمن الذي يعرف الله، فأي هدف أعظم وأروع، بل يعطي الشبع للنفس أكثر من معرفة الله خالق النفس والروح والجسد.

لكن معرفة الله ليست أمرا سهلاً إذا ما قورنت بمعرفة إنسان مثلا.. كما أن معرفة إنسان ما مثل جار لي هو أمر أكثر صعوبة من معرفة منزل معين، أو لغة.. فكلما كان الشيء معقداً كانت معرفته بالتالي شيئاً صعباً.

فمعرفة شيء مجرد مثل «لغة معينة» يأتي بالتعلم، ومعرفة شيء «جامد» مثل المتحف المصري تأتي بالفحص والاكتشاف.. لكن عندما نأتي إلي كائن حي فإن معرفته تكون أكثر صعوبة.. فنحن لا نعرف كائناً حياً إلا إذا عرفنا تاريخ حياته وكيف يتصرف تحت ظروف معينة. فالشخص الذي يقول إنه يعرف هذا الحصان فهو يعني أنه رآه وهو يجري وتعامل معه.. أي اختبره في الماضي.. أما معرفة الإنسان فهي أكثر تعقيداً لأن الإنسان مهما قضيت من وقت معه لن يمكنك

أن تعرفه إلا إذا انفتح معك. فدرجة معرفتنا لإنسان ما تتناسب طردياً مع مقدار ما يسمح به لنا أن نعرفه.

تخيل الآن أنك سوف تلتقي بشخص تشعر أنه أعلي منك سواء في المنزلة أو في القدرات العقلية أو في المهارات الشخصية أو التقوي.. الخ. فكلما شعرت بضعفك وتفوقه عليك.. وجدت أن دورك هو مجرد المثول أمامه بكل احترام وتعطي له المبادرة في الحديث.

نفرض أنك تريد لقاء شخصية مشهورة، أو رئيس دولة.. وأنك تتطلع إلي لقائه بكل شغف، فالأمر يتوقف عليه هو بالكامل لا عليك أنت.. فلو التزم هذا الشخص بالبروتوكول والرسميات فلن يتحقق لك ما تصبو إليه. إذاً فأنت لا تستطيع أن تكسب صداقة شخص علي هذا المستوي. لكن لنفرض أن هذا الشخص قد جاء اليك بالرغم من علو مكانته وابتدأ يتبسط معك ويعبر عن ثقته فيك ويقول لك بكل صراحة ما في فكره من أمور ذات الاهتمامات المشتركة.. بل قد يذهب إلي أكثر من ذلك فيدعوك لمشاركته في مشروع ما قد خطط له ويسألك إذا كان من الممكن أن تخصص له وقتا لكي تتعاون معه عندما يحتاجك.. عند ذلك سوف تشعر بالامتياز العظيم بل سيتغير العالم في نظرك.. فإذا كانت الحياة

كئيبة ومملة فلن تبقي كذلك بعد الآن..فهذا الشخص العظيم قد ضمك إلي مساعديه الشخصيين.. وهنا يمكن أن نرسل لأصدقائنا وعائلاتنا نحكي لهم عن هذا الامتياز العظيم والكبير بل يصبح ذلك هدفا نحيا لأجله.

كل ما سبق هو مجرد توضيح بسيط لما يمكن أن نعنيه «بمعرفة الله» لذلك أعيد عليك مرة أخري قول الله علي لسان النبي إرميا: «لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه **يفهم ويعرفني**» (إرميا ٩: ٢٣و ٢٤). . **فمعرفة الله** إذاً هي **علاقة شخصية**، شركة مقدسة وجدت لتجدد قلب الإنسان.. فما حدث هو أن الله القادر علي كل شيء رب الأرباب الإله العظيم الذي يري كل شعوب الأرض أمامه كنقطة ماء يأتي إلي الإنسان ويتكلم معه من خلال كلمته في الكتاب المقدس.

خذ مثالا لعمل الله، ما فعله مع يوسف الصديق الذي نقله من السجن ليجعله الرجل الثاني بعد فرعون مصر إنه مثال جيد لما يعمله الله مع كل من يؤمن به ولكل شخص يعرفه معرفة حقة، معرفة شخصية.. فبعد أن يكون سجيناً للشيطان يجد نفسه موضع ثقة في خدمة الله. والخادم يزداد فخراً كلما علت أكثر منزلة السيد الذي يخدمه.

*معرفة الله والصعوبة اللغوية:

لكن من يستطيع أن يعرف الله.. ومن يستطيع أن يصفه لنا وبأي لغة.. نفس هذه الحيرة أصابت النبي إشعياء عندما كلمه الله قائلاً: «فبمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به.. فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس» (إشعياء ٤٠: ١٨و ٢٥).

إن الله نفسه يقول إنه لا يوجد شخص أو شيء علي الأرض نشبهه به حتي نستطيع بالتالي أن نعرفه عن طريقه.

لكن لما كنا كبشر لا نملك إلا اللغة وسيلة نعبر بها عن إعلانات الله لنا وهي وسيلة الأنبياء الذين استخدمهم الله في كتابة الأسفار المقدسة ليصفوا لنا الله.

ومن هنا نجد الوحي المكتوب يستخدم لفظ «ذراع الرب» عند الإشارة إلي قدرة الله، و «كرسي الرب» و «عرش الله» عند الإشارة إلي ملكه.. والمقصود هنا يختلف حتي عن المفاهيم البشرية للقدرة والملك.. ففكرة القدرة قد تحمل إلينا صورة بشرية أو مادية بينما قدرة الله تختلف عن أية قدرة نفكر فيها.. وفكرة الملك أو السلطان يفهمها الناس من خلال اختبارهم للملوك والسلاطين الأرضيين.. بينما ملك الله وسلطانه يختلفان كثيراً عن الملك في المفهوم الأرضي.

كذلك عندما ندعوه ونشبهه.«بالآب» فالفكرة أبعد كثيرا عن فكرة الأب الأرضي.. إذ يقصد بها العلاقة الحميمة والخضوع من العابد تجاه الله المعبود.

وقد نشأت عبر التاريخ أفكار خاطئة عن الله.. قد يكون من المستحسن أن نستعرضها قبل أن نجيب علي سؤالنا: من هو الله؟

* أفكار خاطئة عن الله:

(+) الله ليس (الشيخ الجليل) ساكن السماء:

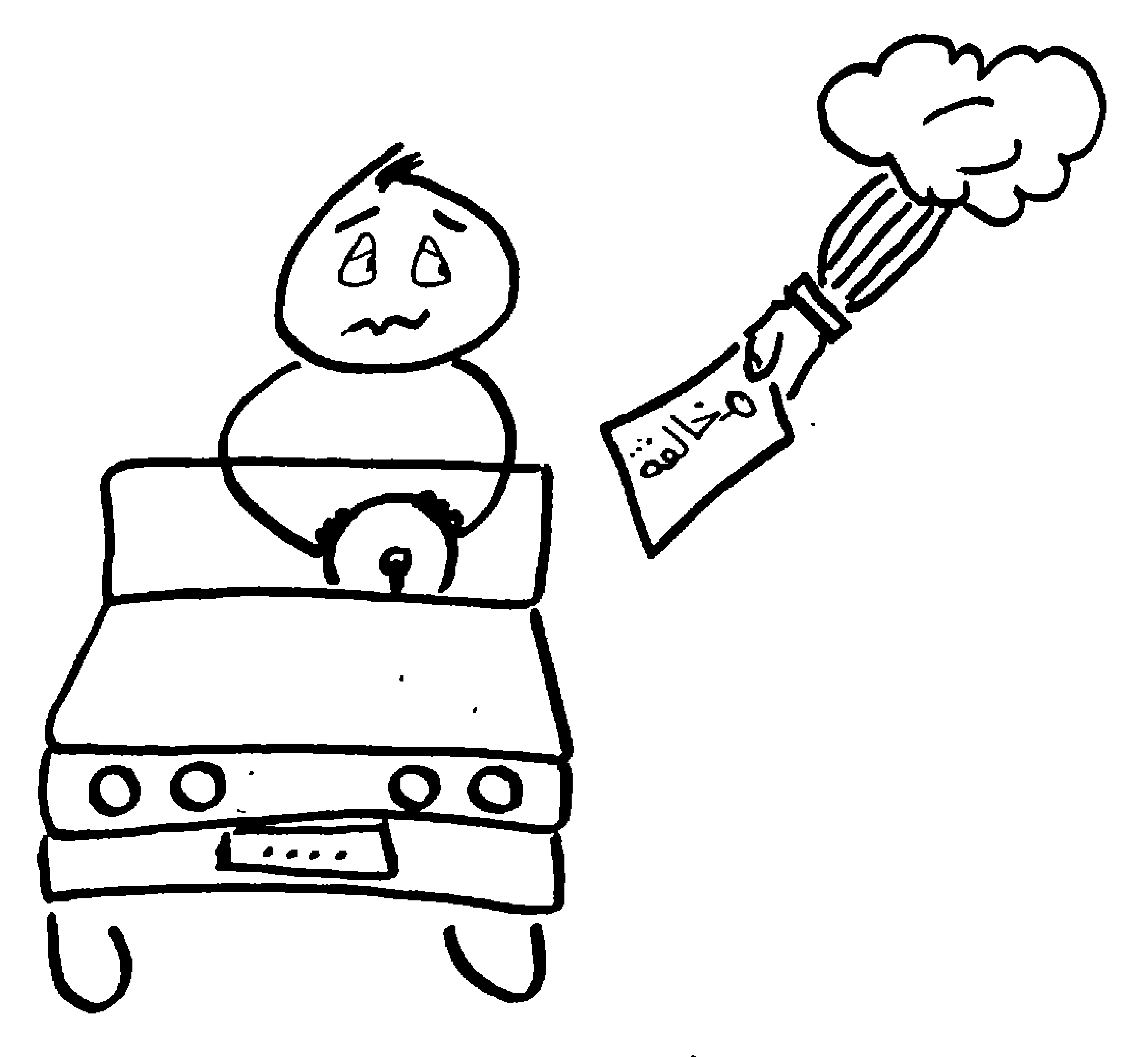
يبدو أن كل من حاول من الرسامين أن يتخيل الله، صوّره بريشته شيخاً جليلاً مستوياً علي السحاب ينظر بنظرات حادة لا تغفل عن البشر ومعه مقدار وافر من الصواعق بين يديه. ولعل هذه الفكرة ترجع إلي إله اليونان القديم «زيوس» (الرومان دعوه جوبتر) وقد ورثنا نحن هذه الصورة عنهم، وقد يكون سانتا كلوز أو (بابا نويل) هو أحد الصور المماثلة التي اتخذت لتصور الله.

ومن الطبيعي بالنسبة لنا نحن البشر أن نتصور الله كشيخ كثير الأيام وما دمنا نؤمن أنه موجود منذ الأزل فهو موجود منذ زمن سحيق في القدم.. وبالطبع فنحن نتخيل أنه موجود في الأعالي- فوق- لأنه متسام عنا، فائق بالنسبة لنا. ومن ناحية أخري إذا كان

الله يري كل شيء فهو بالتالي موجود في مكان ما فوقنا بكثير..

لكن إذا أردنا أن نفهم الله بحق يجب أن ننحي بعيداً تلك الصورة المترسبة عن شخص الله.. فالفكرة السابقة لا تعبر مطلقاً عنه.

(+) الله ليس برجل الشرطة الغير مرئي:



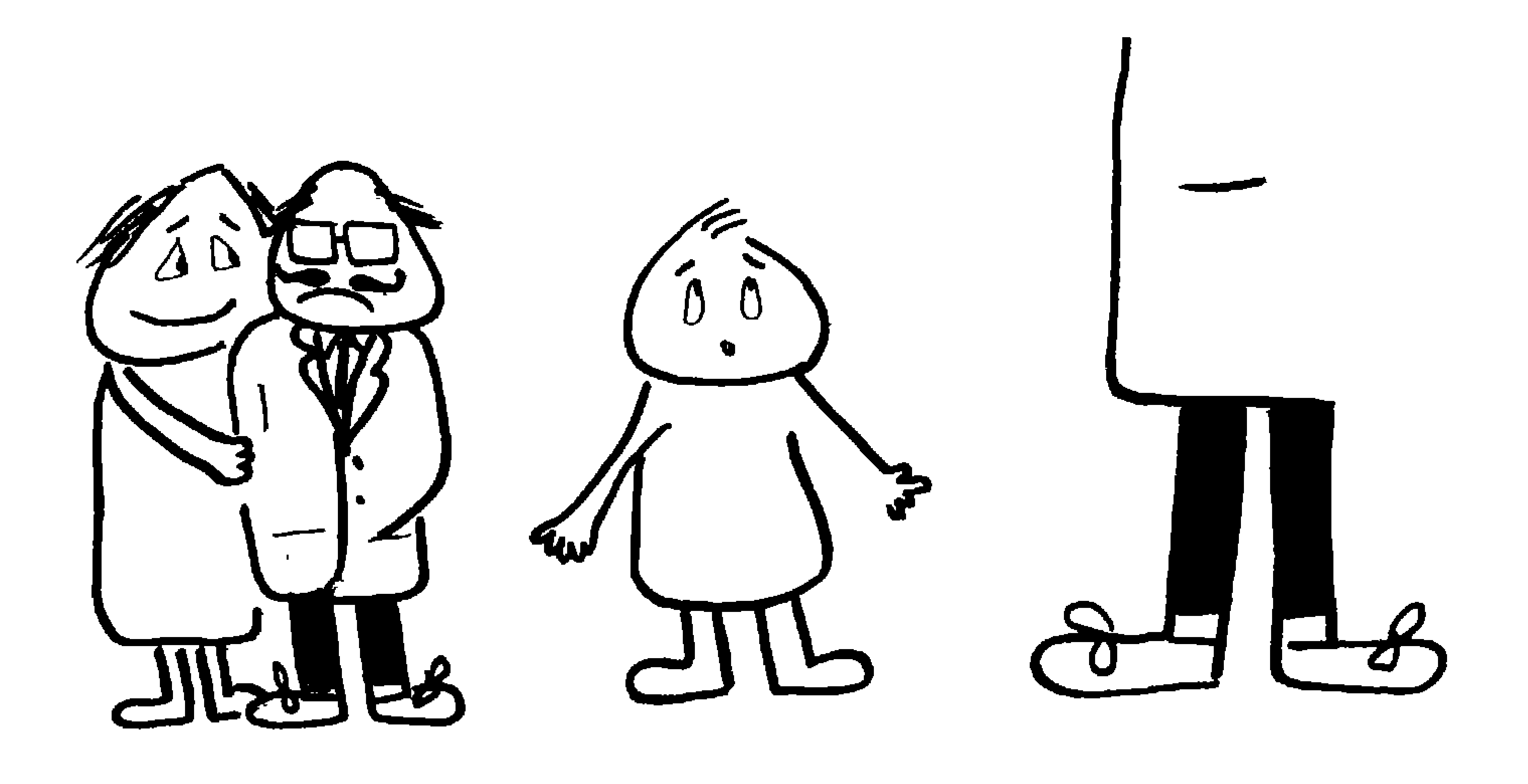
قد نفكر في الله علي أنه يراقب تنفيذنا لوصاياه، الحاضر دائما خلف ظهورنا، لا يشغله غير ملء دوسيهات البشر بخطاياهم الخفية وهو يسجل شرائط سينمائية لحياة كل شخص ويحفظها في أرشيف

في السماء، توطئة للعرض البطيء- Slow Motion - يوم الدينونة.

إذا كانت هذه فكرتنا عن الله فنحن نخلط بين الله وضمائرنا.. فكل منا له ضميره وهو البوصلة الداخلية الحساسة للنفس البشرية وهو الذي يبكتنا دائماً إذا ما عملنا الخطأ.. لكننا يجب أن نعلم أن قسماً كبيراً من ضمائرنا هو نتاج ما تعلمناه من بيئتنا، وتربيتنا.. فيمكن لأي منا أن يشعر بالذنب عند كل هفوة ابتداء من شرب الخمر أو الميسر أو ما إلي ذلك.. ومن ناحية أخري قد تفسد ضمائرنا بفعل البيئة أو التربية السيئة فلا نشعر بوخز الضمير. علي كل سواء بهذا أو ذاك فهذا ليس مدعاة لأن نعظم صوت الضمير ونسميه الله سواء كان هذا الصوت عالياً يطالبنا بالكمال، أو خافتاً يتغاضي عن أخطائنا.، فإن صوت الضمير لا يوازي إعلاناً من الله. يقيناً ليس هو الله.

(+) الله ليس مجرد البديل السماوي لأبوينا الأرضيين:

نحن ندين لمحبة وعناية آبائنا وأمهاتنا.. فهي عظيمة القيمة لنا ونحن ندين لهم بحياتنا، وذكرياتنا الآن ترتبط بسني حياتنا الأولي التي قضيناها مع والدينا في الصغر.



ومع أنه لا يوجد شيء يعادل محبة الوالدين واهتمامهما إلا أنه قد توجد الأم المسيطرة التي تربط أولادها بها بحبال لا تنفصم.. حتي يظل أولادها بعد أن يكبروا معتمدين عليها.. وقد يوجد الوالدان المشغولان عن أولادهما بتحقيق آمالهما الشخصية في الحياة. علي أي حال فكلا النوعين من الوالدين «الصالح والطالح» قد يكونان مدفوعين بالرغبة في تحقيق مطالب أبنائهما، أو يفتقران إلي القيم ومن ثم فإن ردود أفعالهما بالنسبة لسلوك أولادهما، لا يمكن التنبؤ

بها.

لذلك قد تتأثر نظرتنا إلي الله نتيجة خلفية تربية والدينا لنا.. فنحن قد نأتي بطلباتنا، مع آمالنا، ومخاوفنا إلي الله، إنعكاسا لما تربينا عليه في الصغر.. وقد نخشي الله «الآب السماوي» ونشعر بالخوف منه إذا كان آباؤنا الأرضيين قساة معنا.

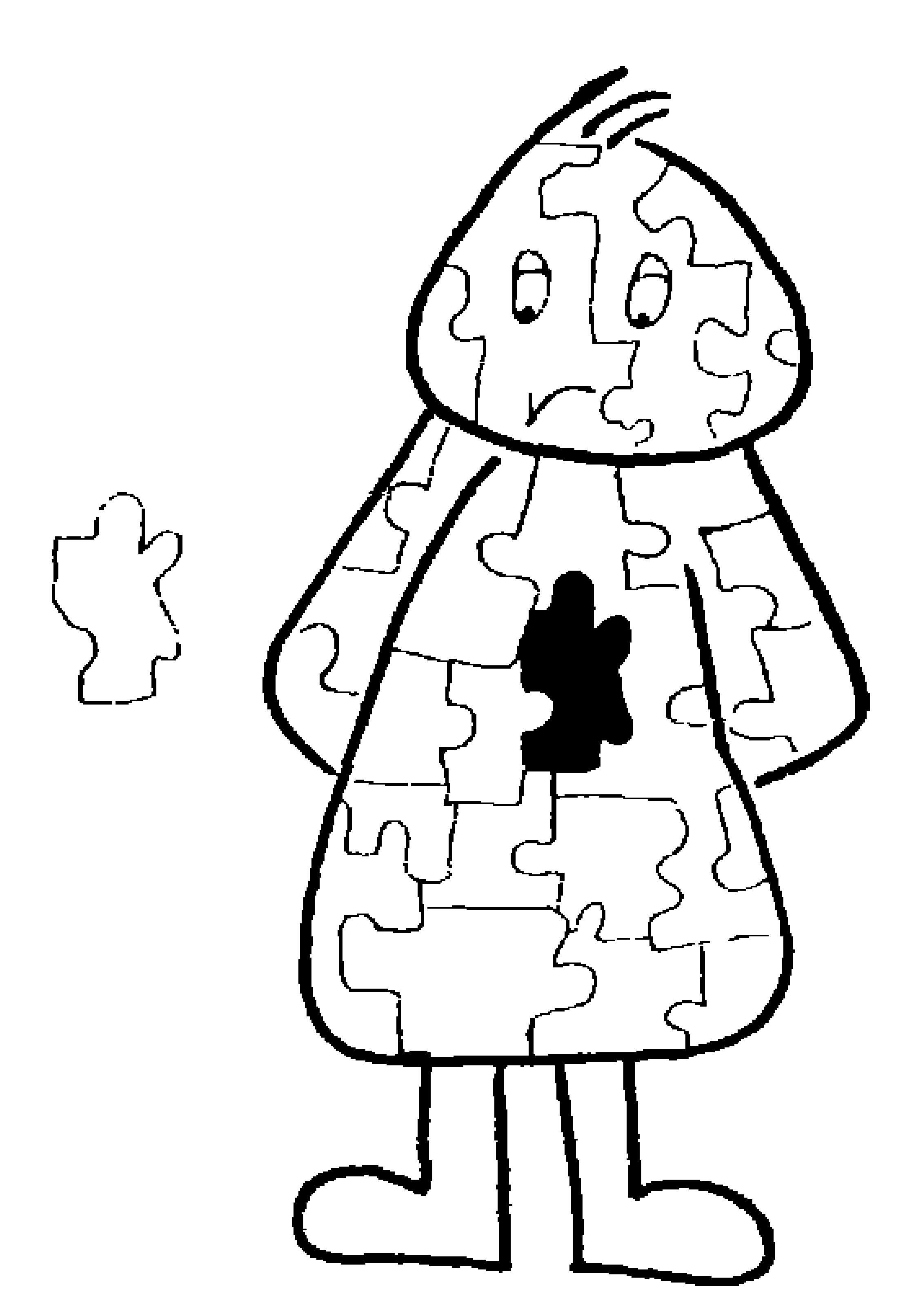
لكن وصف الله «بالآب» هو أفضل وصف يمكن أن تعبّر به لغتنا القاصرة عن انتمائنا إليه وعن شغفه وحبه لنا.. كما أسلفنا الشرح.

فدعونا نأخذ الجانب المضيء من هذا الوصف لله ونطرح الآخر جانبا.. مع العلم بأن هناك مخاطر بأن نفكر في الله بنفس الصورة السلبية التي لبعض آبائنا الأرضيين فنتخيل الله وكأنه الشيخ الهرم، فاقد الذاكرة، ضعيف البصر، الذي يأتي متأخراً عن الوقت.

بالطبع هذه صورة خاطئة عن الله الحي.. الذي هو حي إلي الأبد.. الذي لم يكن أبداً صغيراً.. ولن يكون شيخاً هرماً.

(+) الله ليس تعويضاً عما ينقص من حياتنا:

كثير من الناس ينظرون إلي الله علي أنه هو الذي يملأ فراغات حياتنا.. هذه الفراغات التي قد تنشأ مثلا عند فقدان شخص حبيب

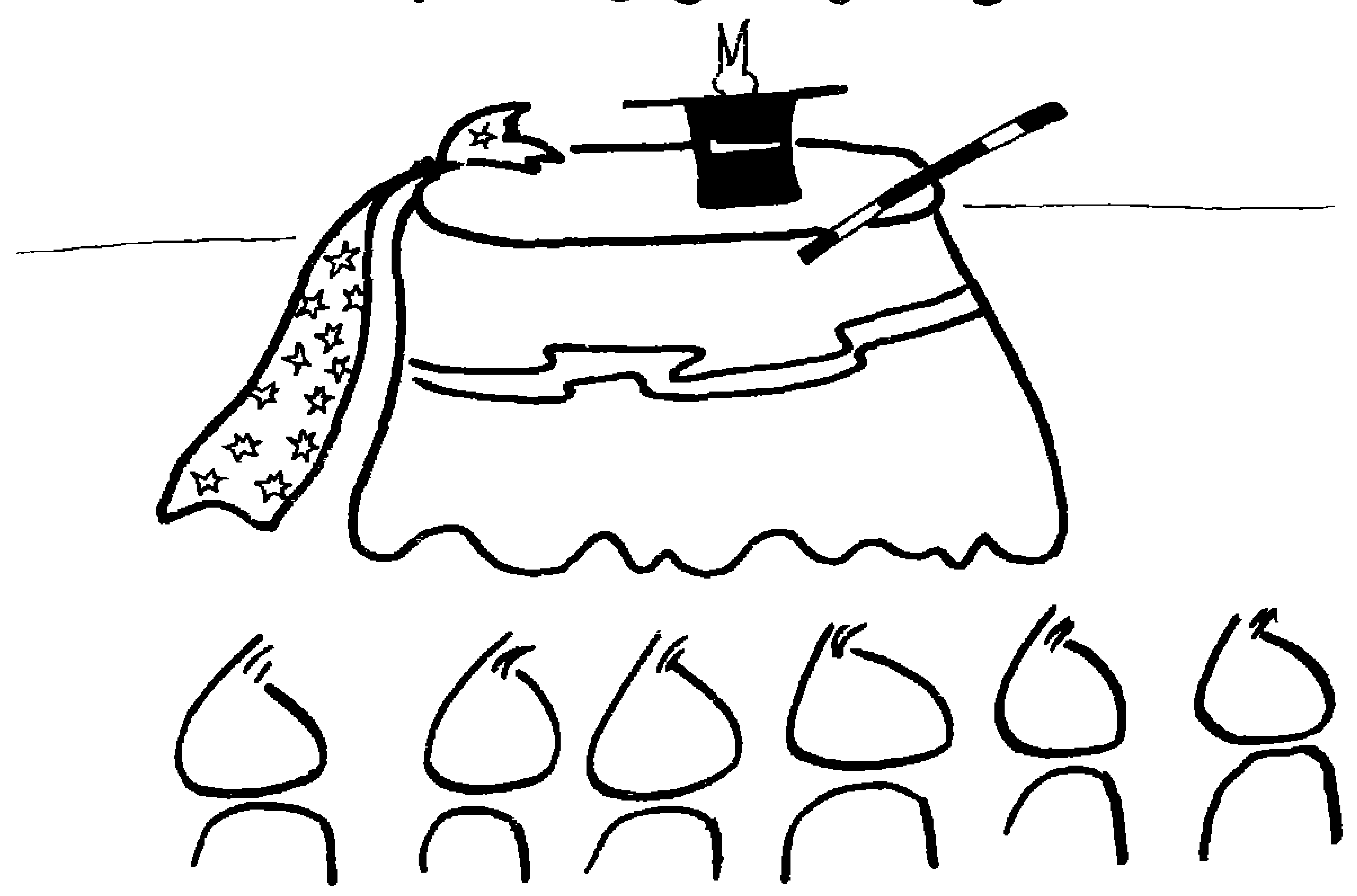


(فالله يملأ الفراغ الذي يتركه موت ذلك الشخص بالعزاء)- أو عندما يعوزنا أمر أو يعسر تحقيق هدف (فنحس بالمساندة والقوة) أو عندما تحدق بنا المخاطر ونواجه الشدائد (فيعطينا إحساسا بالأمن والطمأنينة). هذه النظرة لله نتجت عن تطور العلم والتكنولوجيا.. فنحن في كثير من الأحيان وبسبب ما قدمه العلم لنا من تسهيلات ننظر لأنفسنا علي أننا نستطيع أن نحافظ علي الكون كله مع الله.. فنحن لا نلجأ إلي الله إلا عند الحاجة.

بالطبع هذا ينكر أن كل ما لنا وكل ما نحن فيه يعود فضله إلي الله، وأنه بدون قوته الحافظة الخالقة المستمرة ينهار عالمنا بل الكون كله ويتحول إلي العدم.

حاشا لله أن يكون مجرد القطعة الناقصة في نسيج عالمنا.. فهو الخالق «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عبرانيين ١: ٣) «الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» (أعمال الرسل ٤: ٢٤) والويل لنا إذا تخيلنا أننا لسنا في حاجة إليه وإلي حفظه ومعونته.

(+) الله ليس ساحرا ندعوه وقت الحاجة:



قد يتصرف البعض مع الله علي أنه الساحر اللطيف أو «الجان» الذي يمهد طريق الحياة أمامنا ويبعد عنا المصائب.. ولا تستغرب من هذه الفكرة فتقول لست أنا ذلك.. لكن ألا تجد نفسك في أحيان كثيرة وكأنك تستحضر الله كما يستحضر السحرة «الجان» في وقت الحاجة.. بل قد يكون الدين الذي نعتنقه هو وسيلة لاستمرار العلاقة مع هذا الصديق المخلص.. ألا نجد أنفسنا نتفاءل ونتشاءم من أشياء معينة.. بل نصر علي الاحتفاظ بتعاويذ للتفاؤل بها والتقرب إلي هذا الإله ليساعدنا في وقت الحاجة.. وقس علي ذلك الكثير.. فنحن نتمتم آيات معينة.. ونتلو صلوات خاصة ونذهب إلي أماكن العبادة في كثير من الأحيان لا لعبادة شخص الله الحي ولكن لتقريب ذلك

الإله منا لكي نجعله في صفنا في وقت الحاجة.

بالطبع هذه صورة زائفة خاطئة عن الله كلي القدرة.. فهي تجعلنا في المركز والله يكون علي هامش حياتنا وكأنه موجود لفائدتنا فقط، بل هو محفوظ لأننا سمحنا له أن يوجد في حياتنا.. هنا نستطيع أن ندرك فداحة خطئنا.. فالله يعرف كل احتياجاتنا وهو يرغب في مساعدتنا وهو قادر علي ذلك.

لكنه يفعل ذلك لأننا أولاده وهو يحبنا.. لا لأنه كائن سماوي تعلمنا أن نتعامل معه ببراعة فائقة.

* هل كل الأديان لها نفس النظرة إلي الله:

يعتقد الكثيرون أن الديانات المختلفة ما هي إلا طرق مختلفة للوصول إلي الله.. أي أن الأمر يبدو كالمثل القائل: «كل الطرق تؤدي إلي روما».. وهذه الفكرة ربما تكون صحيحة في أمر واحد فقط ألا وهو أن هدف كل دين هو الوصول إلي الله.. ولكن يظل السؤال قائما: هل تقود كل الأديان الإنسان فعلا إلي الله وتربطه بعلاقة حقيقية معه؟ وإن كانت الإجابة «نعم» فمن هو الله هذا؟ هل هو الله الحقيقي أم أنه إله من صنع خيال البشر؟

دعونا نتخيل مجموعة من الناشئين يلعبون في فريق لكرة القدم

وقد فازوا ببطولة الجمهورية للناشئين، وقررت الدولة أن تكافئهم بأن تستقدم لهم مدرباً أجنبياً مشهوراً، ثم علم فريق الناشئين بهذا الخبر ففرحوا جداً وجلسوا معاً يحلمون بهذا المدرب ويرسمون له صورة كما يتخيلونه. فمنهم من يري أنه أبيض اللون طويل القامة حازم إلي درجة العنف يرتدي باستمرار بذلة أنيقة.. ومنهم من يظن أنه أسمر قصير القامة بعض الشيء، فيه حنان أبوي ويرتدي في الغالب حلة التدريب.. ومع أن هذه الصورة ترسم لشخص واحد إلا أنها في الواقع تختلف اختلافاً بيناً.. وربما لو خلطت مع بعضها لأخرجت شخصية مضحكة هي أبعد ما تكون عن شخصية هذا المدرب.

وبالمثل عندما نستعرض نظرة الأديان المختلفة لله نجد فيها بعض أوجه الشبه.. لكن هناك العديد من أوجه الاختلاف فلو نظرنا إلي ديانات العالم وبالذات ديانات الشرق الأوسط الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) لوجدناها تختلف كثيرا عن الديانات الوثنية وتختلف أيضا عن بعضها البعض.

فالهندوسية: وهي أكبر ديانات آسيا الوثنية تؤمن بإله يدعي «براهمان» (الحق المطلق)، والكون في نظرهم يخرج من «براهمان» مثل ما يفعل العنكبوت، و «براهمان» يسكن في مكان خفي لا يستطيع أحد أن يراه أو يبلغه.. وكل المحاولات لوصف «براهمان»

قد فشلت ولا توجد أي صفات أخلاقية تصفه.. فلا هو محب أو غير محب، ولا هو صالح ولا شرير، وعدد الآلهة الصغيرة من ذكور وإناث التي تتبع براهمان في قري الهند تبلغ حوالي ٣٣. مليون إله.

أما ديانات الشرق الأوسط:

+ فهي تختلف في مفهومها عن ذات الله وطبيعته وصفاته.. فبينما يري البعض الله علي أنه فائق عن كل خلائقه وكل ما تعلمه الخلائق أو تفكر فيه لا يؤثر فيه.. فإرادته فائقة ومطلقة لا تتغير.. نجد أن البعض الآخر ينظر إلي الله- بالإضافة للمفهوم السابق- وكأنه قريب جدا منهم فنجدهم يصفونه مثل الأولين بأنه العال المرتفع، القدوس، الصخرة، الحصن، إلا أنهم يصفونه بصفات أخري توحي بأن الله قريب جداً منهم وكأنه صديقهم مثل: «الراعي، الملك، العريس، الصديق، الآب.. الخ». فصورة الله كصخرة توحي بامكانية الركون إليه وهو كملك توضح سلطان وسيادة الله.. فهم يعبّرون بقلم بشري عن الله في قالب يفهمه الإنسان.. وإذا كان البعض كما قلنا يؤمن بالله الفائق عن كل خلائقه ويتكلمون قليلا جداً عن نعمة الله ومحبته فإن البعض الآخر يؤمن بأن الله ليس بعيد المنال لأنه قريب منا.. فهو يحب شعبه ويأتي إلي معونتهم.

+ كذلك تختلف هذه الديانات عن بعضها البعض في معني العبادة وشكلها وهدفها فبينما يري البعض العبادة علي أنها فرض يجب ممارسته يراها البعض الآخر أنها شركة بين الإنسان والله.

+ وهي كذلك تختلف في مفهومها عن وسيلة الوصول إلي الله: فبينما يظن البعض أن طريق الوصول إلي الله يتم بالحسنات وإتمام الفروض.. يري الآخرون أن هذا الطريق قائم علي نعمة الله الذي تقوم بينه وبين عابديه علاقة شخصية أو معرفة لصيقة واختبار حي من العابد لله.

+ وهي تختلف في مفهومها لدور الإنسان بالنسبة لله.. فبينما يؤمن البعض بقدرية مطلقة حتي أن الإنسان يكون مجرد متفرج عليه أن ينتظر قدره المحتوم.. فإن البعض يري أن الله جعل للإنسان مسئولية ودوراً هاماً في تحديد مصيره والاختيار بين الخير والشر... هنا نعود إلي التساؤل الثاني:

إذن ما هو الطريق الحقيقي لمعرفة الله؟

دعونا نرجع لمثال المدرب الذي سبق أن استخدمناه لنتساءل: ما هي أفضل الطرق لكي نرسم صورة حقيقية لهذا المدرب بحيث تتضمن شكله وملامحه وصفاته وطباعه، لاشك أن الصورة ستتوقف علي قدر

ما نحصل عليه من معلومات من شخص قريب منه.. أما إذا جاءت من المدرب نفسه كأن يرسل لنا صورة له ومعلومات عن نفسه.. فهذه المعلومات لن تحتاج لمناقشة.. إننا نؤمن أننا لكي نعرف الله نحتاج لأن نعرفه طبقا لما يقوله هو عن نفسه وليس طبقا لما نظنه نحن عنه مهما كان هذا الظن عظيماً.. وهذا ما ناقشناه سابقا عندما استعرضنا تصورات الإنسان الخاطئة عن الله.

وقد قدم الله نفسه عن طريق أنبيائه في الكتب المقدسة.. فنحن نجد صورة رائعة لشخص الله في العهد القديم إلي درجة أننا نجده يظهر في صورة مجسمة.. آخذا صورة إنسان يمشي ويتكلم مع إبراهيم، ويعقوب، والفتية الثلاثة وغيرهم من أناس التوراة المؤمنين، والتوراة يتنبأ عن أن الله سيرسل عبده المختار «المسيا» أي «المسيح» الذي سيؤسس ملكوت (مملكة) الله.

«والعهد الجديد» يتكلم عن الله كما يؤمن به التوراة تماماً.. إلا أن العهد الجديد يتكلم عن شخص المسيح الذي تنبأ عنه العهد القديم والذي اتخذ جسداً وأتي إلي العالم.. فهو إعلان الله الكامل والنهائي للبشر.. فالله تنازل في محبته ليبحث عن الإنسان الذي شوه صورة الله التي خلقه عليها.. وأصبح فاقداً للعلاقة الشخصية معه، والله في شخص يسوع المسيح دبّر للإنسان خلاصاً من الخطية،

ومن يقبل هذا العمل يسكن الروح القدس في قلبه، وتصبح له معرفة وعلاقة شخصية مع الله. ويصبح أحد أبناء الله.. كما قال كاتب الرسالة إلي العبرانيين: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه... » (العبرانيين ١: ١و ٢).

بعد أن استعرضنا صورا زائفة لحقيقة الله، وعرفنا أن ليس كل من يدعو باسم الله يعني بالضرورة نفس المفهوم الصحيح عن الله الحي.. تعالوا معا نرسم صورة حقيقية لله.



الله له صفات أو أسماء عديدة. فالإنسان يراه من جوانب مختلفة مثل: حكيم، نور، كلي القدرة، محب.. الخ. وكل هذه الصفات

تتجمع معا لتعطي لنا صورة جيدة عن غني صفات الله وعن علاقته مع أولاده المؤمنين. ومع ذلك فهي ليست شاملة، ولا هي دقيقة تماما لتعطي لنا إجابة شافية عن سؤالنا: من هو الله؟

ويقدم لنا اللاهوتيون الإجابة عن هذا السؤال عن طريق تجميع كل ما كتب عن الله في الكتاب المقدس ثم تلخيصها في مجموعة صفات أهمها ما يلي:

+ الله هو الخالق:

أي هو خالق الكون وحافظه.. فلا يوجد شكل من أشكال الحياة منفصل عن الله.. وهو الذي وضع القوانين للطبيعة مثل تعاقب الفصول وغيرها.. كذلك هو خالق كل البشر كجزء من خطته لكل العالم.

+ الله واحد:

أي لا توجد آلهة أخري معه.. وتعليم المسيحية عن الثالوث لا يتناقض مع وحدانية الله فالمسيحية لا تعبد ثلاثة آلهة بل إله واحد كما سنبين فيما بعد.

+ الله مختلف عنا:

فنحن يمكننا أن ننظر إلي خليقة الله ونتعجب من روعتها.. لكننا

لا نستطيع أبداً أن نري الله نفسه:

+ **فالله روح** : فهو لا يحد بشكل أو بمنظر لأنه روح وليس جسد ولا يمكن تشبيهه بشيء فلا يوجد من يشبهه.

+ **الله موجود منذ الأزل:** أي لا يحده ماض أو مستقبل.. فهو يعيش في حاضر دائم وأزلية الله تعني أنه دائماً «هنا والآن» فهو قريب منا أكثر من عائلاتنا بل حتي من أجسامنا.. واسمه ببساطة كما يعلن التوراة هو «أنا هو» وبالعبرانية (يهوه).

+ **الله غير محدود:** فهو فوق الزمان والمكان علي عكس الإنسان المحدود بالزمان والمكان .

+ **الله عديم التغير** : فهو هو أمساً واليوم وإلي الأبد فلا يشيخ أو يكبر ولا عنده تغيير أو ظل دوران.

+ **الله كامل** : فهو قدوس لا يعتريه أي شيء.. فهو قدوس، وكامل، محب، بار، عادل، حكيم...

+ **الله كلي العلم** : فهو يعلم كل شيء وليس شيء بمخفي عنه.

+ **الله كلي القدرة** : فلا يوجد شيء خارج استطاعة قدرته.. فالتاريخ ليس متروكاً للظروف أو لأهواء الحكام والملوك.. لكن يد

الله ممسكة بخيط الأحداث.. فهو يقيم ممالك، وجمهوريات ويسقط رؤساء وملوكاً لتحقيق قصده في التاريخ.. فالتاريخ لا تحركه يد البشر أو الملوك لكن وراء قيام وسقوط أي شيء نجد يد الله.

+ **الله ذات** : أي أنه ليس مجرد قوة كأن نقول: قوة الطبيعة هي الله.. إن الله له صفاته الشخصية كالعقل، والإرادة، والعاطفة، وهو يتعامل مع البشر بطريقة شخصية.. يعاملنا بطريقة خاصة بحيث يمكن أن تكون لنا معه علاقة شخصية لذلك فنحن ندعوه بهذه الأسماء: «ملك، أب، راع،.. الخ» وإن كانت هذه الصفات قاصرة عن وصف الله إلا أنها كلمات بشرية رائعة للتعبير عن لمحة من سمات شخص الله.

+ **الله هو أبونا**: فالله الموجود منذ الأزل الكلي القدرة والقوة هو أيضا الآب الرقيق الحنون، المحب. إن أديان العالم بها مئات الأسماء لله لكن لا يوجد فيها اسم يوحي بالألفة والعلاقة الحميمة مثل لفظ «بابا» أي الآب.. وهذا يعني أن الله الذي يتصوره البعض بعيداً جداً عن البشر هو في الواقع **«ذات»** يتعامل معنا بطريقة شخصية.. فهو قادر أن يخلق، يتصل، يختار، يحب.. وقد وصفه الكتاب المقدس بأنه «الله محبة» فعندما نختبر المحبة فنحن لا نستكشف جزءاً آخر من خليقة الله بل نحن نري ونتشارك في عمق

الله نفسه.

والله هو قاضينا: فنحن لا يجب أن نستخف بفكرة حضور الله في وسطنا فالله محبة- بالطبع- لكنه أيضا «نار آكلة».. فعندما واجه النبي موسي الله الحي في العليقة المحترقة علي جبل سيناء حذر ألا يقترب كثيرا ،وأن يخلع نعليه لأن نفس الأرض صارت مقدسة.. نعم إن الله محب وهو خالقنا وأبونا لكن يجب أن نأتي إليه بكل تواضع وخوف.

والله هو ربنا: أي هو سيدنا.. فنحن لا يجب أن نعلن نفوسنا مناطق مستقلة عنه.. فإذا كان الله الحي هو الذي أوجدنا في خطته فالله لا يمكن أن يكون قد خلقنا لكي يضعنا في قوالب لتنفيذ خطته بدون أي اعتبار لحريتنا. لأنه إن كان ذلك صحيحا فالله يكون قد خلق البشر وكأنهم مجموعة من الماكينات الآلية المبرمجة مسبقا، لكن بدلا من ذلك فهو ينتظر بصبر استجابة حية لنا، وفي نفس الوقت نجد أن تأثير خطته تعتمد علي مدي تقبل كل منا لإرادته الصالحة.

ويمكننا أن نلخص الصفات السابقة في حقيقتين تختصان بالله:

أولا: الله خارج الزمان والمكان:

فالنجار يصنع الكرسي، والرسام يرسم الصور، والفخاري يصنع

الفخار،.. الخ. وبكلمات أخري إن كل ما يُصنع هو منفصل عن شخص الصانع.. لذلك إذا كان الله قد صنع أو خلق الكون فهو لا يكون جزءاً من تركيب الكون.. فهو خالق الزمان والمكان وبالتالي فهو فوق الزمان والمكان.. والله الذي هو فوق الزمان والمكان هو فقط الذي يستطيع أن يخلق وبالتالي يحفظ الكون، وهو لا يمكن بأي شكل أن يكون معتمدا علي الكون لأن الكون يعتمد عليه تماما..

لذلك فالله خارج وفائق عن كل الكون.

ثانيا: الله متداخل في الزمان والمكان:

بالرغم من أن الله فوق كل هذا الكون.. إلا أنه لا يغيب عنه فالكون ليس ساعة عملها الله ثم تركها تدق.. والإنسانية ليست مثل جماعة من الناس الذين يعيشون على أرض لا صاحب لها.. فالله الذي هو فوق الزمان والمكان هو أيضا حاضر في خليقته الجميلة الرائعة وعقله الجبار يُري في كل شيء في العالم مثل الموسيقي الماهر الذي نراه في كل أعماله الجميلة.. كذلك الله هو **صانع المعجزات** أي أنه يتدخل في حياتنا ككل بل في حياتنا الشخصية. فهو الذي يرتب لنا احتياجاتنا، ويستجيب لصلواتنا.. بل كم من مريض يئس من الشفاء، وتدخل الله فشفاه بمعجزات يعجز الطب عن تفسيرها أحيانا.. وكما يقول الكتاب المقدس: «لكي تعلم الأحياء أن العليّ متسلط في مملكة الناس.. فيعطيها من يشاء» (دانيال ٤: ١٧و ٢٥).. فهو منصف المظلوم ومظهر الحق.

وحضور الله في خليقته واضح في نمو النباتات والبذور وتعاقب الفصول في نظام لا يختل، وفي نفس الوقت الله خارج تأثير الكون، لكن الكون داخل تأثير الله. فهو فوق الزمان، والمكان- أي خارج الكون- وهو حاضر في الزمان والمكان- أي داخل الكون- لأنه روح غير محدد.. ومنشأ الصعوبة في فهم ماهية الله هو أن كل تفكيرنا وتشبيهاتنا لله هي بشرية بحسب مفهومنا القاصر- كما أوضحنا سالفا- وهذه التشبيهات مهما كانت دقيقة فهي لا تصف الله وصفاً

دقيقاً.

إن الله يسمو فوق كل فكر وفوق كل وصف وكل لغة، فكل كلامنا وعباراتنا عنه هي مجرد علامات علي الطريق تشير إلي الحقيقة العجيبة.. الله.

لكن بعد ما أسلفنا من حديث عن الله قد يوجد من يداخله شك في وجود الله ذاته.. فهو ينشد الإيمان بالله لكن بداخله أسئلة وتعوزه البراهين علي وجود الله..

* هل يمكننا أن نبرهن علي وجود الله:

ليس من السهل أن أبرهن علي وجود الله الغير محدود، الأزلي، القادر علي كل شيء، الذي هو روح وليس جسد، بكل الصفات السابقة لا يمكنني أن أبرهن علي وجوده بالتجربة.. فلكي أثبت وجود ١٠ شجرات في الحديقة يمكن أن آخذك وأريك الشجرات. وقد ألجأ إلي نوع آخر من البراهين التي تعتمد علي المنطق والظواهر.. مثل الظواهر التي تصاحب ريحا أو عاصفة هبت علي مكان معين.

وللفائدة أعرض أمامك عزيزي القاريء ثلاثة براهين فلسفية تدلك علي وجود الله.. كل منها معروف جيداً ويستخدم كثيرا.

(١) برهان المسبب الأول:

الأشياء الموجودة أمامك من ورق ومناضد وكراس.. الخ لم توجد

بالصدفة بل وجدت لأن شخصاً ما صنعها مستخدماً خامات من الطبيعة مثل الأشجار التي أخذنا منها الأخشاب.. نشأت لأن هناك بذرة نبتت.. إذاً فوجود الشجرة وراءه قصة طويلة من المسببات.. فوجودها لا يفسر نفسه بل يفسر بأشياء خارجها. هذه في الواقع حقيقة كل شيء موجود في العالم، فليس هناك شيء موجود بذاته.. لكن وراءه مسبب، ولكن هذه المسببات كلها تشير إلي المسبب النهائي الذي هو الله الحي.

(٢) برهان التصميم والتكوين العظيم:

لنفترض أنك لم تر جهاز «راديو ترانزستور» من قبل ولنفترض أنك وجدت أحد هذه الأجهزة.. وبعد فحصك للجهاز رأيت كيف أن الأجزاء تعمل معا بانسجام وروعة.. فلابد أن تصل إلي استنتاج معين هي أن هذا الجهاز صنع بواسطة شخص عاقل لسبب خاص- قد تعرفه وقد لا تعرفه- هكذا عالمنا أيضا بكل أجزائه الصغيرة والكبيرة، وقد وُجد بواسطة عقل مصمم جبار. هذا المصمم الأعظم قد رسم وخلق الحياة والعقول. فلابد أن يكون حياً وله عقل جبار. وبكلمات أخري ذلك المخطط والمصمم الأعظم هو «الله الحي».

(٣) برهان الضمير والقانون الأخلاقي:

كلنا نميل إلي أن نفعل شيئاً صالحاً قد يكون ذلك تسديد دين أو مساعدة شخص عاجز أو محتاج، أو الاعتذار عن أذي تسببت فيه أو

الالتزام بالذهاب إلي العمل في الموعد المحدد.. كما نشعر بالخجل إذا قصّرنا في أداء الواجب وهذا الإحساس بالواجب يشير إلي حقيقة عظيمة منها تنبع كل القيم الأخلاقية مثل قول الحق، محبة واحترام الآخرين، احترام حقوق الإنسان.. وهذه لا يمكن أن تكون نابعة تلقائيا من العقل البشري بل من منبع الأخلاق، إنه الله وهو الحاكم الأخلاقي للكون.

ومهما كانت قوة ورجاحة هذه البراهين فهي تظل عاجزة عن إقناع الشخص الذي اختار لنفسه الشك ورفض الإيمان.. إلا أن من ينشد الإيمان فقد تساعده هذه البراهين علي تعميق إيمانه بالله إيمانا حقيقيا.

ونحن لا نجد كاتبا من كتّاب الأسفار المقدسة انبري بقلمه لإثبات وجود الله، فالله موجود في الكون والتاريخ وفي حياتنا ولا يحتاج إلي إثبات لوجوده.. لكننا نجد أن البرهان الوحيد الذي قدّمه كتّاب الأسفار المقدسة لإثبات وجوده هو تفوقه علي جميع الآلهة وكل سلطان آخر وفي النهاية نجدهم وقد انبهروا بجمال وتفوق العالم ونظامه وترتيبه، فيعبّرون بذلك عنه بمزيد من التسبيح والعبادة لله الحي بدلاً من محاولة إثبات وجوده بالمنطق.

فإن كنت لا أعرف ذاتي إلا من خلال معرفة الله.. وإن كنا قد عرفنا الله بالبراهين والأدلة التي سقناها في هذا الفصل.. إذاً يبقي التساؤل الذي يتبادر إلي الأذهان وهو:

«لماذا يوجد ملايين من البشر حتي الآن لا يظهر عمل الله في حياتهم؟»

بالطبع هناك سبب.. فلابد أن هناك فاصل أو قطيعة بين «أنا».. و «الله» حالت دون إتمام اللقاء.. هذا الفاصل نسميه (الخطية).. وهي التي تفصل ما بين الله.. والإنسان.

وهذا يقودنا إلي حديث الفصل القادم.

الفصل الثالث

الله .... الإنسان

إذا كانت معرفة الإنسان لله تجعله يعرف من هو كمخلوق فريد، وهدف وجوده كما يريد الله.. إذن ما هي المشكلة؟ لماذا لا يعرف كل إنسان الله وتنتهي المشكلة؟

ذلك بسبب الحاجز الذي وضعه الإنسان بينه وبين الله.. إنه ما نسميه الخطية. تري ما هي الخطية؟ هل هي مجرد **إحساس نفسى داخلي بالذنب** يدفع الإنسان لأن يتجه إلي الله- كما يقول البعض- بالطبع لا لأن ما يشعرني بالذنب قد لا يشعر غيري به كما أن هذا الإحساس قد ينتج من أسباب غير حقيقية.

أو هل الخطية هي **ما يتعلمه الإنسان من بيئته؟** فمعني ذلك أن وجود الإنسان في بيئة جيدة منذ مولده يجعل منه إنساناً صالحاً؟ لكن هذا لا يثبته الواقع.

كما أننا لو عرفنا الخطية بأنها **الأفعال التي هي ضد الضمير أو القوانين..** فسنجد أن الخطية تختلف من شخص إلي آخر ومن بلد إلي آخر.. فهذه خطية بالنسبة لهذا الشخص وهي نفسها شيء صالح بالنسبة لشخص آخر (مثل لبس فستان قصير أو مايوه للسباحة أو وضع ساق علي ساق أمام شخص كبير.. الخ) فنحن نجد أن اختلاف

الاشخاص والأماكن يجعل التصرف الواحد خطأ أو صواباً طبقاً لاختلاف الشخص والمكان.

أما إذا قيست الخطية بالنتائج فسنجد أن هناك أشخاصاً يسرقون أو يقتلون أو يزنون لأن ما يعملونه من وجهة نظرهم له نتائج طيبة أو علي الأقل ليس له نتائج ضارة. فقد يري شاب أن الزنا صواب طالما أنه لا يؤذي نفسه أو الآخرين.. كما قد يري المدمن أنه علي صواب طالما لا يؤذي الآخرين، وقد يلجأ البعض إلي القتل بهدف خير المجموع.. فالقتل والحالة هذه ليس خطية.

فإذا كانت هذه الأمثلة ليست خطايا إذن ما هي الخطية؟ هذه التي فصلت ما بين الله والإنسان.. وطالما أن الخطية لابد لها من مجال تعمل فيه وهذا المجال هو الإنسان.. فتعال عزيزي لنعرف كيف عرف الإنسان الخطية.

* كيف عرف الإنسان الخطية:

عندما نقرأ سفر التكوين يلفت نظرنا أن الله قد ميز بين نوعين من الخلائق.. فالنوع الأول تتكرر معه كلمة كجنسه أو كجنسها، أو كأجناسها وهذه هي النباتات والطيور والزواحف، والحيوانات البرية.. فيقول سفر التكوين الأصحاح الأول ، عدد ٢٥ : «فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها».. وهذه الكلمات لها دلالتها.. فالهدف من وجود هذه

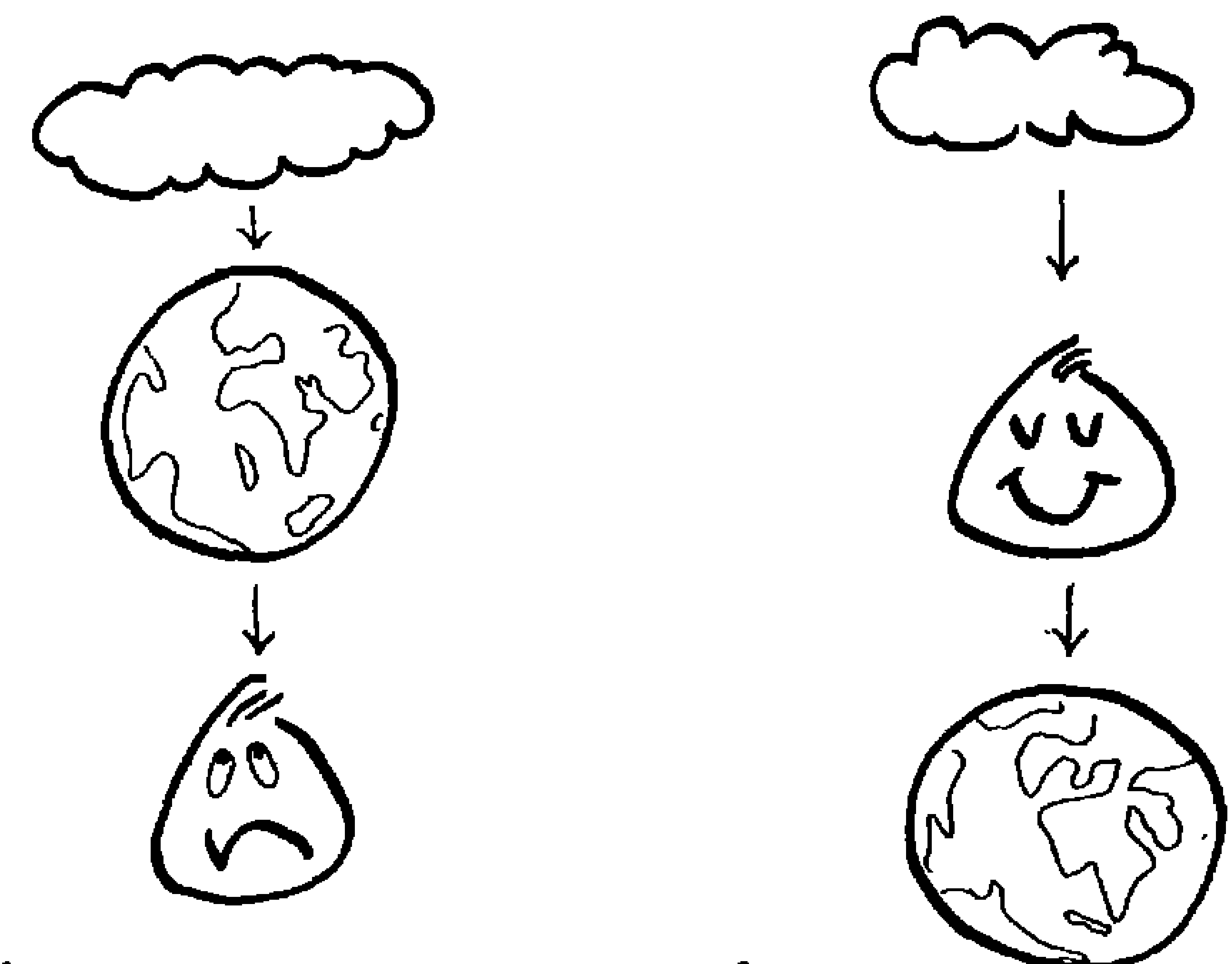
النوعية من الخلائق هو أن تتكاثر لتملأ الأرض، من نفس نوعها كجنسها.. لا يوجد فيها جنس متفوق أو له ميزة خاصة، الكل يتناسل كجنسه.

إنما النوع الثاني من الخلائق فلا نجد كلمة (**كجنسه**) ترتبط به. إنه الإنسان.. وعوضا عن كلمة (**كجنسه**) نجد عبارة أخري تصف الإنسان بأنه مخلوق (**علي صورة الله وكشبهه**) وليس ذلك فقط بل جعله الله **متسلطا** علي كل الخلائق التي هي من النوع الأول.. فيقول كاتب سفر التكوين: «فيتسلطون (أي البشر) علي سمك البحر وعلي طير السماء وعلي البهائم وعلي كل الأرض» (تكوين ١: ٢٦)، وعبارة «صورة الله» تعني تميز الإنسان بصفات خاصة هي من صفات الله. ليس بالطبع في كمال صفات الله لكن قبس منها: العقل (أي المعرفة)، والدافع الأخلاقي (أي الميل لعمل الخير، والبعد عن كل فساد أخلاقي).

ونخلص من ذلك إلي أن الله عمل خليقته وأعطي الإنسان أن يكون:

١- متسلطاً: علي باقي الخلائق.. فهو الخليقة المتميزة عن باقي الخلائق.

٢- وكيلاً عن الله: فالتسلط يجب أن يكون له هدف يبرره، وهذا الهدف هو الوكالة التي أعطاها الله للإنسان ليمارسها كنائب عنه علي الأرض.. فالإنسان هو وكيل الله، وهو يأخذ سلطانه من الله.



إن الصورة تبدو رائعة لدرجة أن الكتاب المقدس يعبر عن رأي الله فيها قائلاً: «ورأي الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً» (تكوين ١ : ٣١).

يتضح أيضاً مما سبق أن الله خلق الإنسان بلا خطية.. خلقه لهدف سام.. لكن الإنسان حاد عن هذا الهدف وقال «بمعرفة طرقك لا نسر» (أيوب ٢١: ١٤) ونتيجة لذلك انقطعت العلاقة بين الله والانسان.. فلم يعد الإنسان متسلطاً ولا وكيلاً عن الله علي الأرض.

لقد كانت حيلة الشيطان ليقطع العلاقة بين الله والإنسان هي أن يستثير الذات والكبرياء في الإنسان، فاستدرجه للوقوع في الخطية فقال له: «بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه (أي ثمر الشجرة المنهي عنها).. تكونان كالله عارفين الخير والشر» (تكوين ٣: ٥).لم يفطن الإنسان إلي هذه الجملة الماكرة فتمرد علي الله بعصيانه وأخطأ، وبالطبع لم يجد الإنسان نفسه معادلاً لله بعد أن تمرد عليه. بل فقد وكالته كنائب لله وبالتالي سلطانه علي جميع الخلائق.. ونجد لذلك

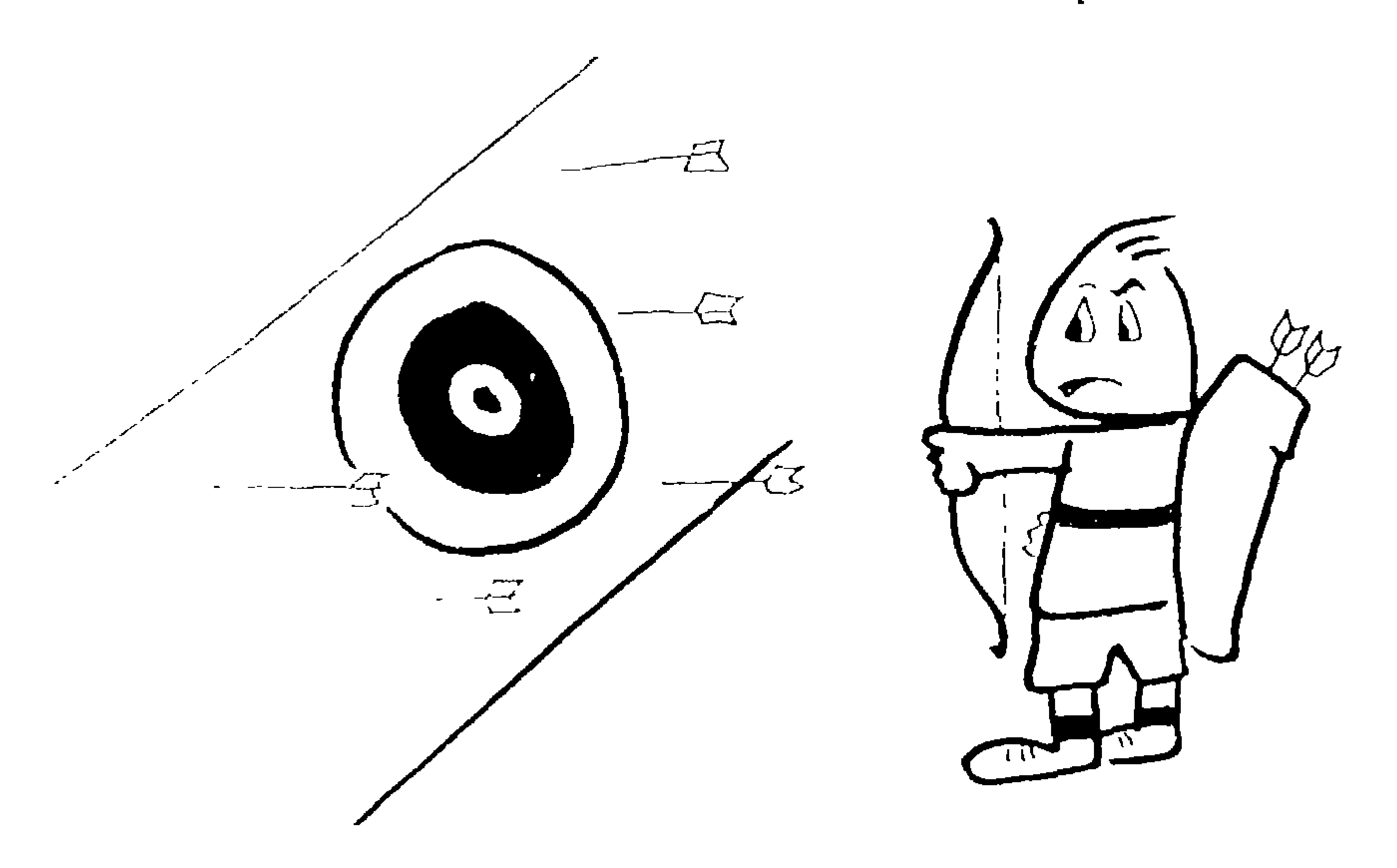
مثالا في الضابط الذي له سلطان علي الجنود لأنه ممثل للجيش بحكم وظيفته.. فكونه يخضع لسلطان أعلي منه هذا يعطيه سلطانا علي الرتب الأقل منه..لكن إذا خرج هذا الضابط من الخدمة فهو لا يعود بعد خاضعاً لسلطان أعلي منه في الجيش ولا يعود ممثلاً له، وبالتالي تحدث النتيجة المنطقية وهي أن جنوده لن يكونوا خاضعين له.. وبكلمات أخري أن خضوع هذا الضابط للجيش جعل له سلطاناً على جنوده وبعدم خضوعه (بخروجه من الخدمة). فقد سلطانه علي جنوده. ونفس الشيء حدث للإنسان.. فهو لم يفهم أن خضوعه لله- يجعله وكيلاً عنه لكن عدم خضوعه وتمرده يفقده سلطانه علي كل العالم. بل أكثر من ذلك تشوهت الصورة الأولي التي خُلق عليها كشبيه لله.. نعم لقد تشوهت صورة الإنسان تماماً بعد أن لوثته الخطية فأصبح الإنسان يخطيء لأنه خاطيء.. ولا يصير خاطئاً لأنه يفعل الخطية.. كيف يكون ذلك؟ البعض منا لا يفهم ما أحدثته الخطية أو يظن أنها كلمة أخلاقية لكنها في الواقع حالة.

ومن الأفضل الآن أن نفهم معني الخطية.

* طبيعة الخطية ومعناها:

لن نستطيع أن نفهم الخطية ومعناها إلا إذا قرأنا وفسرنا كيف تصفها الكتب المقدسة الموحي بها من الله.. إن موضوع الكتاب المقدس هو تمرد الإنسان علي الله ورد فعل الله الرحيم تجاه ذلك التمرد.. ولكي نفهم طبيعة الخطية ومعناها تعالوا نستعرض معا المعاني التي استخدمت في الكتاب المقدس لتصف الخطية.

(١) عدم إصابة الهدف:



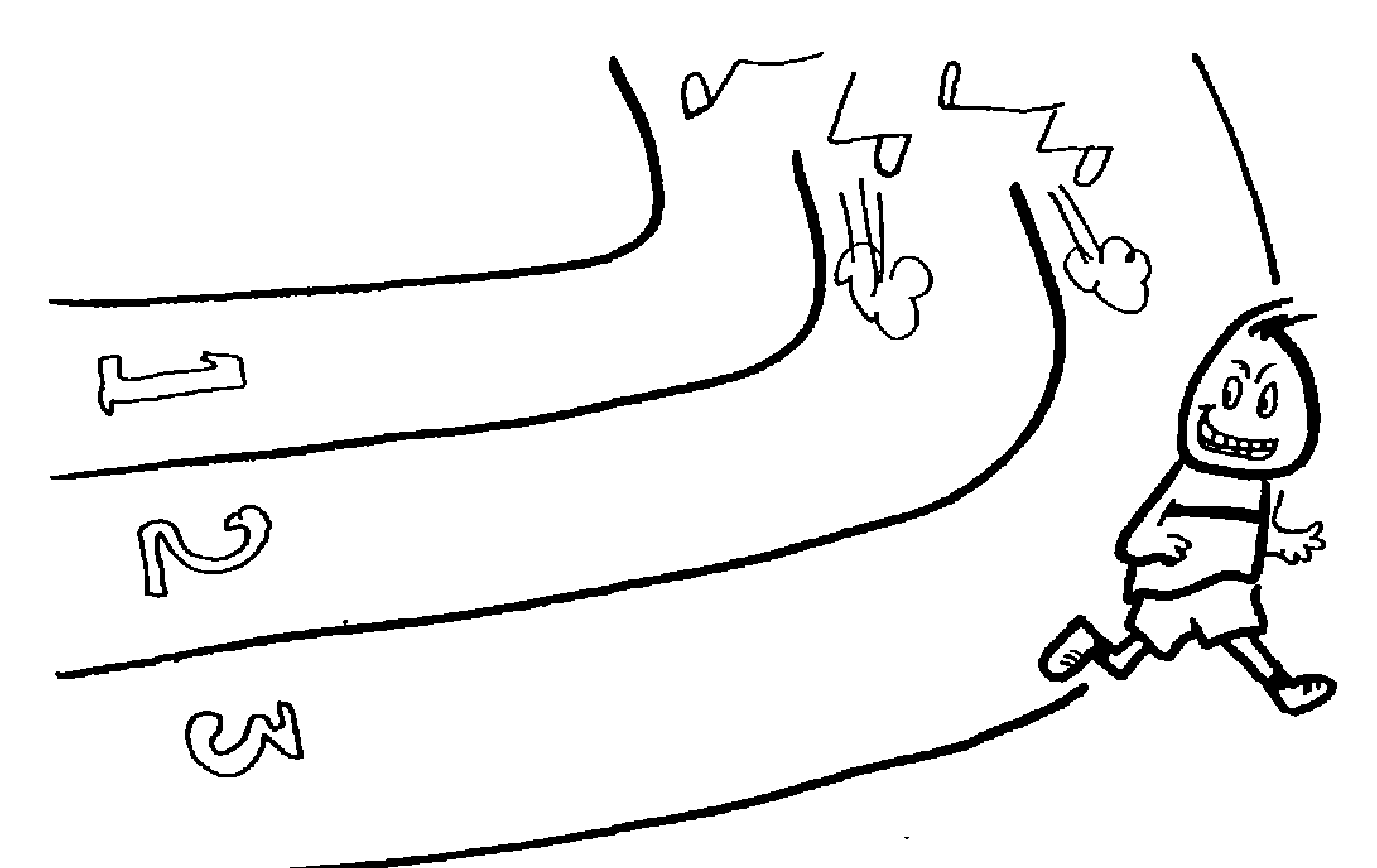
فيتكلم كاتب سفر القضاة عن بعض الرماة المهرة ويصفهم فيقول: «.. يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة ولا يخطئون» (سفر القضاة ٢٠: ١٦).. بمعني أنه لا يمكن أن **«يخطئوا الهدف»**، ويوسف الصديق الذي عرف هدف وجوده كخادم لبيت فوطيفار وهو أن يحفظ بيته، قال لزوجة سيده عندما راودته عن نفسها: «كيف أصنع هذا الشر العظيم (**وأخطيء**) إلي الله» (تكوين ٣٩: ٩) أي أن **يحيد عن الهدف** الذي عينه الله له وعن خدمة سيده.. كذلك قال الابن الضال الذي ترك بيت أبيه وبذر ماله: «أقوم وأذهب إلي أبي وأقول له ياأبي (أخطأت) إلي السماء وقدامك» (لوقا ١٥: ١١- ٣٣) مثل السيد

المسيح عن الابن الضال، أي أنه **أخطأ الطريق إلي الهدف** الأساسي الذي رسمه الآب، وتمرد وذهب إلي كورة بعيدة (بلدة بعيدة).

ونحن نستطيع أن نوضح المعني السابق للخطية بما يحدث في لعبة كرة القدم.. فاللعب يكون صحيحا وقانونيا داخل المستطيل الأخضر للملعب.. ومن ناحية أخري- متي تكون الكرة هدفا؟ في حالة واحدة فقط وهي أن تتجاوز خط مرمي الخصم بكامل استدارتها، ولاحظ ان أي مكان آخر في الملعب غير ذلك لا تكون فيه الكرة هدفا.

هكذا أيضا الإنسان إذا سار في أي طريق آخر غير الذي رسمه له الله «**يخطيء الهدف**» الذي رسمه له الله، أو الطريق الذي رسمه له.

(٢) التعدي:



أي تجاوز الحدود المرسومة أو التقصير في الوصول إلي المستوي

المطلوب.. فيقول الكتاب المقدس عن أحد الأنبياء الذي لم يطع قول الله- أي تجاوزه- «أنه حصل علي توبيخ (**تعديه**)» (٢ بطرس ٢: ١٦).. ويقول الرسول يوحنا في تعريفه للخطية: «كل من يفعل الخطية يفعل **التعدي**» (١ يوحنا ٣: ٤).. ذلك بمعني أن الإنسان له حد أو خطة موضوعة لا يجب أن يتعداها أو **يقصّر** في الوصول إليها.

ويمكننا أن نوضح المعني بأن نتصور أن مهندسا أراد بناء بيت ورسم وخطط كل شيء وحدد لكل عامل دوره تماماً، البنّاء. المحّار، السبّاك، الكهربائي، المبيّض.. الخ وانتظر منهم أن يسيروا حسب الخطة الموضوعة.. لكن البنّاء أراد واستحسن أن ينفذ ما في عقله هو لا ما هو مرسوم حسب الخطة، فحذف بعض الكمرات الخرسانية وبعض الأعمدة.. ثم فعل المحّار نفس الشيء وسار حسب خطته هو وأضاف أشياء وحذف أشياء أخري.. الخلاصة أن كل شخص منهم سار حسب خطته هو. في النهاية وقبل التسليم انهار المنزل تماماً وتحطم البناء بكامله. ذلك لأنهم لم يسيروا حسب الأسس أو الخطة الموضوعة وسار كل واحد في طريقه أي أنهم «أخطأوا» المواصفات الموضوعة ففسد البناء تماما. (لاحظ أن البناء لا يمكن إصلاحه، الحل الوحيد هو إزالة القديم تماما او إعادة بنائه من جديد).. هذا ما فعلته الخطية تماما بالإنسان فهي التي أفسدت صورته الأصلية كشبيه الله، علي صورة الله.. أفسدتها تماما .. لهذا السبب نجد أننا جميعاً خطاة بصرف النظر عن اتجاهاتنا وميولنا وعائلاتنا وبيوتنا.. فحتي لو عزلنا إنساناً تماماً عن بيئته أو أي مؤثر خارجي فلن يكون رغم ذلك باراً لا



يعرف الخطية.. فهو أيضا سيخطيء لأنه خاطيء وكما قلنا سابقاً الإنسان يخطيء لأنه خاطيء. وليس لأنه يفعل الخطية يصير خاطئا.. راقب الطفل وانظر أنانيته.. من علّمه ذلك؟ من علّمه أن يغار من أخيه؟ نعم لقد فسد الإنسان وهو مولود خاطئا كما يقول الكتاب: «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣).. ولا يوجد أي حل للخطية في صورة إصلاح جزئي.. فكوننا نضع نجفة غالية الثمن فوق المبني المنهار لن يصلح شيئاً بالرغم من فخامة النجفة، وبنفس الطريقة لن تجدي الأعمال الصالحة [١] ولا الأصوام [٢] ولا التوبة[٣] بالرغم من أهمية كل ذلك.. الحل الوحيد هو إعادة بناء الإنسان من جديد لأنه تعدي خطة الله له.

وتبقي معاني أخري للخطية كثيرة وهامة أكتفي بذكر بعضها بدون إسهاب في الشرح:

(١) أفسس ٢: ٨و ٩

(٢)إشعياء ٥٨: ٣- ٥

(٣) غلاطية ٢: ١٦و ٢١

+ **العصيان أو (عدم الطاعة)**: أي كسر وصايا الله التي وضعها



للإنسان وعدم طاعتها.

+ **الإثم**: أي عدم البر وعدم الاستقامة والسير في طريق معوج.

+ **الذنب، الجرم، العلّة**: وهذا المصطلح يشير إلي استحقاق العقاب.

+ **التمرد**: هو فعل أو تمرد شخص ضد السلطة العليا.. الذي هو الله.

+ **الجهالة**: فالحيدان عن الهدف هو في واقعه جهل في التصرف.

+ **الفجور:** أي التصرف بعدم احترام تجاه الله الخالق وتجاه وصايا الله.. فهذا الشخص «بلا قانون» يحكمه.

والشيء الواجب الإشارة إليه أن الخطية في أساسها «موجهة ضد الله» نفسه فيقول داود النبي في المزامير «إليك وحدك أخطأت» (مزمور ٥١: ٤)، ويقول يوسف الصديق: «كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء إلي الله» (تكوين ٣٩: ٩).. بالرغم من أن كلاهما أخطأ أو كاد تجاه إنسان مثله لكنهما رأيا أن الخطأ في أساسه موجه ضد الله.. فأي تخفيف للخطية، بعدم اعتبارها خطأ في حق الله، أي بتصويرها أنها مجرد أفعال أنانية أو شيء من هذا القبيل، يعتبر تزييفاً لمعني الخطية وعدم تقديرها التقدير الصحيح.

مما سبق نخلص بشيئين هامين:

أولا: أن الخطية قد أفسدت الإنسان تماماً.. وهي لا تحتاج إلي حل جزئي بل لحل جذري **يعيد بناء الإنسان** من جديد فلا تصلح الأعمال الصالحة بالرغم من أهميتها ولا تصلح التوبة فقط بالرغم من لزومها.. فالقاتل المدان إذا أعلن توبته لن يمنع القاضي من إصدار الحكم عليه. ومجرد التوبة لا تمنع تنفيذ الحكم العادل ولا يمكن أن تعيد قتيلا إلي الحياة. فالله غفور رحيم، نعم.. لكنه أيضا عادل.

ثانياً: الخطية هي أساسا في حق الله.. أي موجهة ضده.. فالموظف الذي يخطيء إلي موظف مثله يكون خطأه ذا تأثير أقل مما كان قد

أخطأ في حق المدير المسئول أو وكيل الوزارة أو الوزير نفسه- ففي الحالة الأولي يكون تأثير الخطأ صغيراً، والخطأ في حالة الوزير يكون خطأً كبيراً جداً- نحن لا نقول هنا إنه توجد خطية أو خطايا صغيرة وأخري كبيرة.. لكن أحاول أن أؤكد حقيقة أن كل خطية- مهما كانت- هي موجهة أساساً ضد الله.

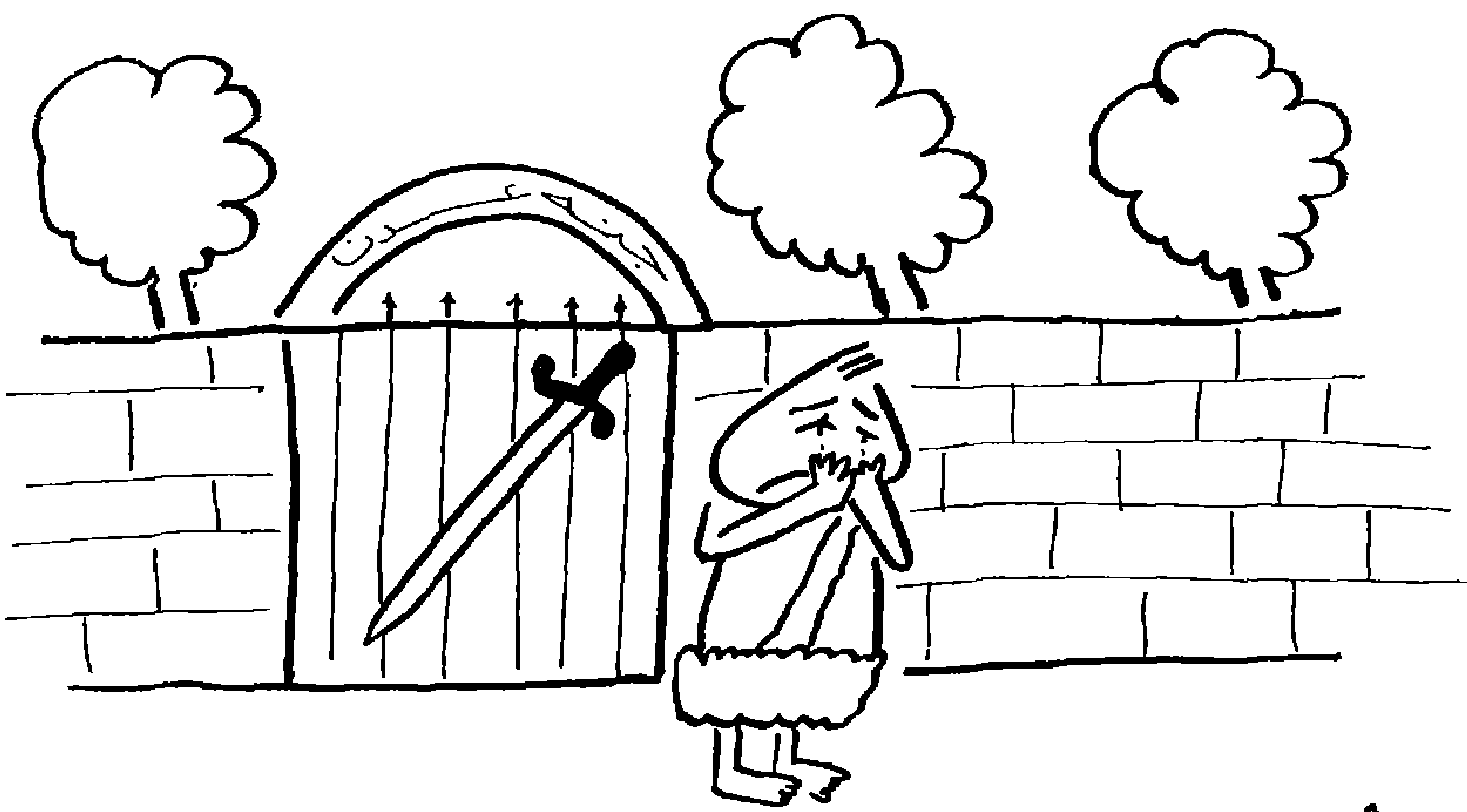
فإذا كان خطأ الإنسان تجاه الله، والله غير محدود، إذاً فالخطأ غير محدود ولا يمكن لأي عمل بشري أن يرفع تأثيره. فلا يصلح إذلال النفس، ولا تقديم الأموال مهما عظمت، ولا حتي بناء بيوت لله للتكفير عنه. فالخطية أعظم من أن يدفع عنها الإنسان- أو كل البشر- أي ثمن ذلك لأنها موجهة ضد الله الغير محدود فهي غير محدودة وعقابها غير محدود.

مدي تأثير الخطية:

أثرت الخطية في كل الخليقة «ليس بار ولا واحد» (رومية ٣: ١).. لقد أثرت الخطية في الإنسان ككل، في عواطفه، وعقله، وإرادته.. فالإنسان مسلَّم إلي «**أهواء الهوان وشهوات القلب**» (رومية ١: ٢٤- ٢٦)، كذلك الشعوب تسلك «ببطل ذهنها» (أفسس ٤: ١٧)، والشخص الذي «**يريد أن يفعل الحسني يجد الشر حاضراً عنده**» (رومية ٧: ٢١).. وليس الإنسان فقط بل كل الخليقة فسدت بسبب الخطية.. فسقوط الإنسان وصل تأثيره إلي مدي بعيد تجاوز

حدود الإنسان وامتد إلي كل الخليقة.. تعالوا نستعرض باختصار بعضها:

(١) في علاقة الإنسان مع الله:



أ- صرنا غير لائقين للمثول في حضرة الله، فطرد آدم من الجنة فصل كل الجنس البشري عن الله، وصار محضر الله مكانا مفزعا بالنسبة للخاطيء وهناك لهيب سيف متقلب لحراسة طريق العودة إلي الجنة وبالتالي نحن نستحق غضب الله.. فالإنسان يعيش في خوف دائم قد تظهر بعض آثاره في العلاقات مع البشر.. لكن الخوف يسكن فينا أساساً بسبب الخطية واستحقاقنا لغضب الله. (تكوين ٣: ٢٣و ٢٤)

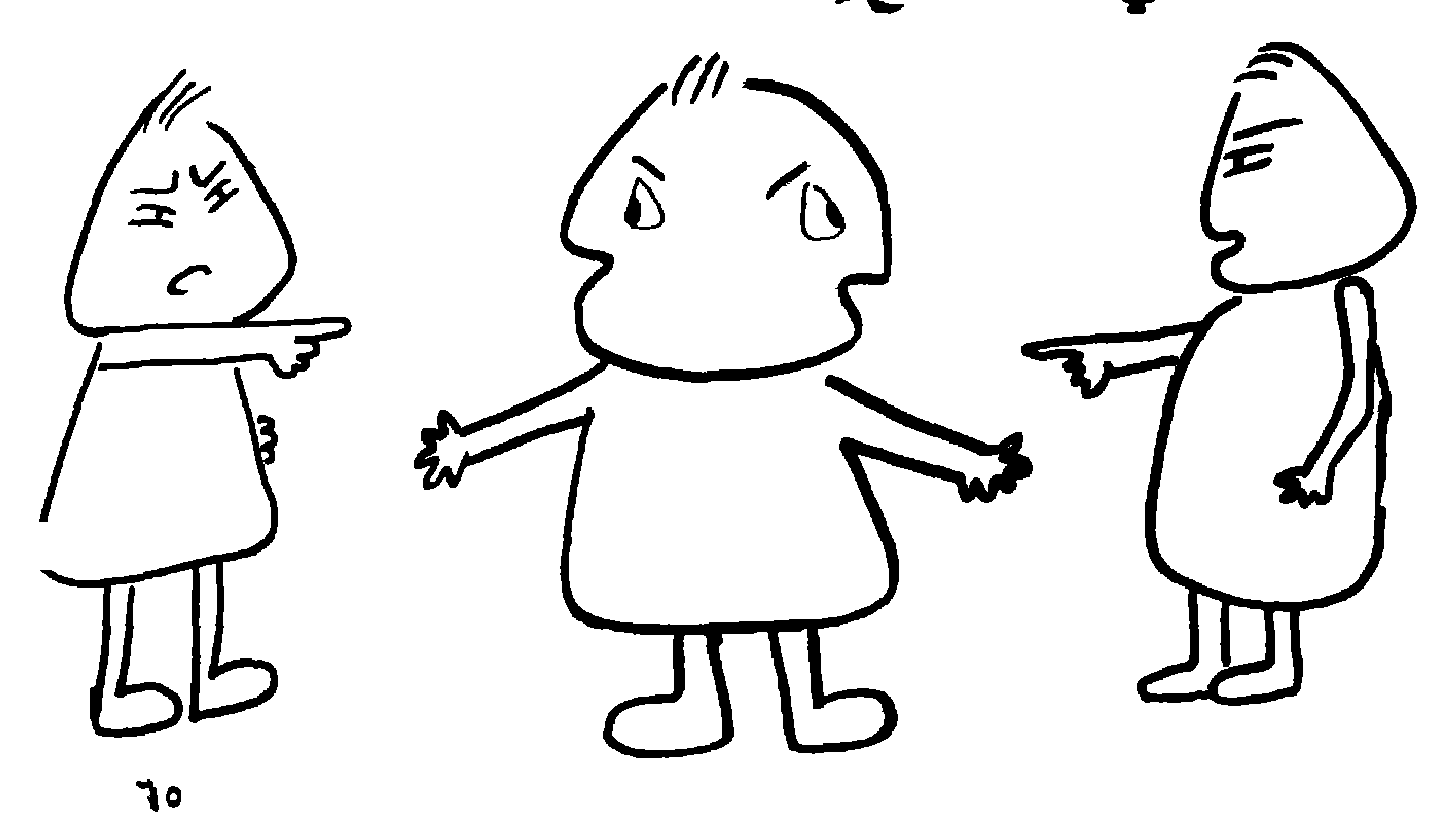
ب- لم يعد في مقدورنا عمل مشيئة الله.. فإرادتنا فقدت قدرتها علي السير في الطريق الذي رسمه الله (إنجيل يوحنا ٨: ٣٤)

جـ- صرنا غير أبرار ومدانين أمام وصايا (ناموس) الله .. فعدم قدرتنا علي السير في إرادة الله يعرضنا للعنة هذا الناموس ويجعلنا نشعر بالذنب كلما عصينا الوصية (التثنية ٢٧: ٢٦).

د- صرنا غير حساسين لكلمة الله.. فالخطية تقودنا إلي الجهل بالله وغير قادرين علي فهم الأمور الروحية.. فالإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأن عنده جهالة (١ كورنثوس ٢: ١٤).

إن تأثير الخطية يظهر في كبريائنا.. فنحن نرفض سيادة الله علينا وصارت أفكارنا ومنطقنا وفلسفاتنا هي الشيء الصحيح.. ومن الناحية الدينية صار تبريرنا لأنفسنا بديلا عن خضوعنا لسيادة الله.. مبررين كل خطايانا لنحصل علي أمان زائف، لكن كيف نهرب من الله؟

(٢) في علاقتنا مع إخوتنا من البشر:



تبع انفصال شركة الإنسان وعلاقته مع الله انفصال في علاقات البشر معا.. فمنذ سقوط الإنسان ونحن نلوم بعضنا البعض، ألقي آدم **اللوم** علي حواء، وحواء ألقت **اللوم** علي الحية (تكوين ٣: ١٢) فالخطية أنشأت **العداوة** والصراع ما بين البشر **وفصلت** بين من يملك ومن لا يملك. وأنشأت **«الاستغلال»** من الإنسان لأخيه الإنسان.. فنحن نستغل بعضنا البعض نسعي لأهدافنا الخاصة، لتبرير أنفسنا وأفعالنا، أو لنسند ونخفي ضعفنا حتي لا يظهر.. فنحن حتي في محبتنا بعضنا لبعض نعي وراء الفائدة التي تعود علينا من هذه المحبة، كذلك أنشأت الخطية «خوف» من أن نظهر أمام الآخرين بواقعنا، بضعفنا، بذنوبنا، وأنانيتنا. فكل منا بسبب هذا **الخوف** يظهر بصورة كاذبة للآخرين ولا نتحدث بصدق عن واقعنا.. بل صار الخوف مميزا لكل حياتنا خصوصا الخوف من المستقبل.

(٣) في علاقتنا مع أنفسنا:

تضع الخطية الإنسان ضد نفسه.. فيقول الرسول بولس: «إني أري ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلي ناموس الخطية الكائن في أعضائي (رومية ٧: ٢٣)، وهذا التأثير للخطية

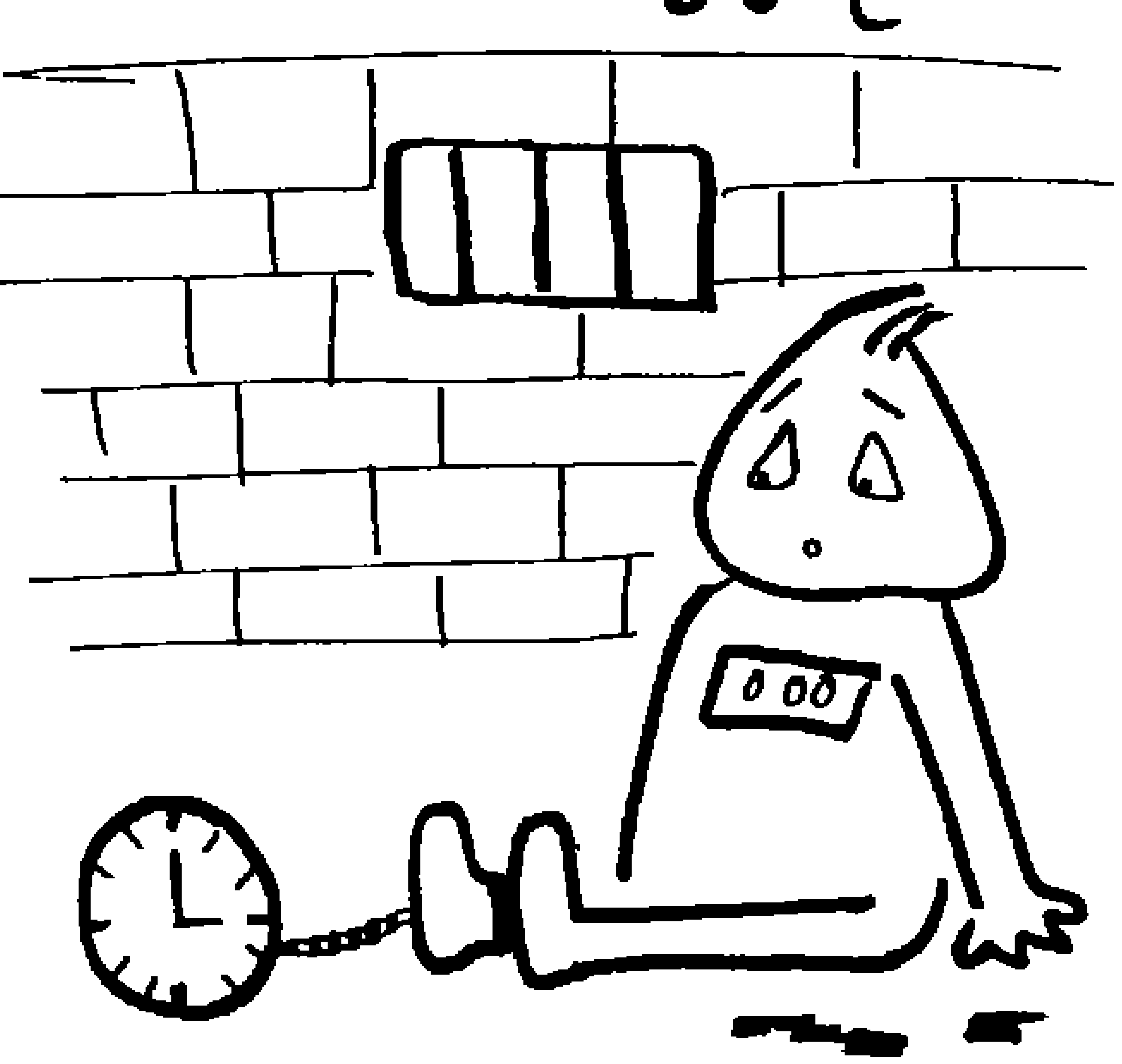
يظهر في «خداع النفس» فنحن إما أن نقدر أنفسنا تقديراً عالياً أو نحط من أنفسنا إلي الحضيض وهذا لأن الخطية حجبت عنا المعرفة الإلهية التي بها نقدر أنفسنا تقديرا صحيحاً بعيداً عن خداع النفس (١ كورنثوس ٤: ٣) . كذلك هذا الصراع النفسي أنتج الشعور «بالعار» والخجل (تكوين ٣: ٧- ٨) فأول شيء أحسّه آدم بعد السقوط هو أنه عريان..فالخطية سلبتنا الشعور بالرضا والثقة بالنفس، وقبول النفس كخليقة الله. فنحن نخجل من أنفسنا ومنظرنا، بل أحياناً كثيرة من عائلاتنا وظروفنا، بسبب شعورنا بالنقص وأن هناك آخرين أفضل منا، عوضاً عن قبول ما أعطاه الله لنا بشكر **«ليس سلام قال إلهي للأشرار»** (إشعياء ٥٧: ٢١) لقد فقد الإنسان السلام، والأمان، والقيمة نتيجة للخطية.

(٤) في علاقتنا مع البيئة:



وهذا يظهر في «**الاستغلال**» السيىء للخليقة.. الذي يؤدي إلي تدمير العالم سواء بالحروب أو الاستغلال السيىء لموارد البيئة الطبيعية والذي أنتج في أيامنا هذه ثقباً في طبقة الأوزون التي تحمينا من الجانب الضار من أشعة الشمس. كذلك في «**تلوث**» البيئة نتيجة لاستغلال الإنسان السيىء لبيئته. فالعالم الآن ينفق آلاف الملايين ليصلح جزءاً صغيرا من **تلويث** الإنسان لبيئته.

(٥) في علاقتنا مع الزمن:



بسبب الخطية صارت أجسادنا معرضة **للمرض**، والتشويه بل **والموت** فكل منا له عمر محدد، وأيامنا معدودة ودينونة الله لنا في المستقبل هي أمامنا دائماً وهذا الإحساس بمحدودية الوقت أنتج فينا توجهاً «**للمادية**» فكل منا يرغب أن يخلد نفسه بنسل أو بشيء مادي يتذكره به الناس بعد موته.. وقد يصير الإنسان عبداً للمال أو الشهرة أو الطموح.

وأخيرا أنتج هذا الإحساس «**القلق**»، لأن الموت سيقابلنا حتماً في يوم من الأيام.. فحتي لو واجهنا الموت بشجاعة فلن ننجح في هزيمته.

* حاجة الإنسان إلي الخلاص من الخطية:

لقد أبعدت الخطية الإنسان وفصلته عن الله.. وهو يحتاج إلي إتجاه آخر وصبغة جديدة إن أراد أن يتفادي الدمار النهائي بالدينونة الأبدية. وهو لا يمكن أن يحصل علي هذا التغيير بنفسه.. ولكن الإنسان لم يفهم ذلك وظن أنه يمكن بعمله أو بمجهوده أن يخلص نفسه من الخطية.. هو في سبيل ذلك يلجأ إلي عمل الآتي مثلاً:

+ **الصلوات الكثيرة:** ظن الإنسان أن كثرة الصلوات تجعل الله يرضي عنه وهو هنا مثل من يحاول الاتصال بالتليفون بالرغم من قطع الحرارة عنه.

+ **الأصوام:** وهي رغبة التذلل أمام الله طلبا للمغفرة.. لكن أين ثمن المغفرة؟ لو قتل إنسان شخصا ثم أبدي أسفه هل يعفيه الأسف والتذلل من العقاب؟

+ **التمسك بتاريخ العائلة في التدين:** لكن الله سيحاسب كل فرد بغض النظر عن العائلة.

+ **مجرد التردد علي بيوت الله:** كالكنائس والأديرة.. ولكن هذه وسائل وليست هدفا في حد ذاتها.

+ **أعمال الخير المختلفة:** بالرغم من فائدتها للآخرين لكنها لا تصلح من نفس من يقوم بها. وغيرها.. وغيرها.. الكثير من محاولات الإنسان للخلاص.. لكن لابد للإنسان أن يفهم أن خلاصه لن يتحقق إلا من خلال الآتي:

* الإنسان يحتاج إلي اتجاه آخر:

وعلي الرغم من أن الإنسان خلق بواسطة الله لغرض تمجيد الله، إلا أنه اتخذ طريق العصيان والتمرد علي الله ففقدنا الاتصال الكامل بالله وبكل ما خططه وما دبره لنا.. فبغير الله لا معني للحياة والوجود.. فنحن نحتاج الي **تغيير الطريق والاتجاه تغييرا جذريا.**

* الإنسان يحتاج إلي طبيعة جديدة:

الإنسان مستعبد لذاته بسبب رفضه اتباع وصايا الله، ونحن لا نستطيع أن نغير من طبيعتنا فالخطية تسودنا وكل تصرفاتنا وعاداتنا تؤكد عبوديتنا لها.. لقد صرنا فاسدين تماماً، ولا يفيدنا أي إصلاح جزئي.. فنحن نحتاج إلي تغيير طبيعتنا جذريا.

* الإنسان يحتاج إلي دافع جديد:

إن عجز الإنسان وخلو حياته (لبعده عن الله) ينعكسان علي كل مجالات الحياة.. فنحن لا نفهم كيف ترتبط أمور الحياة معا. هذه الأمور المختلفة من سياسة، واقتصاد، وفن، وأدب، وتكنولوجيا،

وعلم.. الخ فنحن نجد أن كل هذه الاشياء وكأنها منفصلة ومتضادة، ونسأل أنفسنا: ما معني كل هذا، وكيف يمكن أن تسير كل هذه الأمور معا بترابط وانسجام؟ والكتاب المقدس يؤكد لنا أننا نحتاج إلي وجود الله إذا أردنا أن نعيش في انسجام مع كل هذه الأمور معاً وأن نعيش حياة فعّالة ذات هدف، ذلك أنه في وجود الله نكتشف معني الحياة، وندرك هدف كل هذه الأشياء المختلفة، فهي في حد ذاتها باطلة والسعي وراءها لا يؤدي إلا إلي الفراغ. لكن عندما نضع الله في الصورة نجد البديل الذي يملأ حياة الإنسان بالرضا والسعادة، فيفهم معني الوجود، وهدف الحياة.

* الإنسان يحتاج إلي شبع روحي:

الإنسان بوضعه الحالي لا يميل إلي الجانب الروحي في الحياة، إلا أنه بسبب كونه خليقة الله فهو يشعر بعدم كماله بدون وجود الله فيه. وهو لا يستطيع أن يحقق هذا الوجود بدون مساعدة لأنه كما يصفه الكتاب المقدس: مسكين: ضعيف، وأعمي وميت. وفي غياب وجوده الروحي تبدو إمكاناته الضئيلة الحالية وكأنها تسخر منه بسبب ما كان عليه حاله قبل السقوط من مكانة سامية. فنحن نحتاج إلي شيء يملأ فراغنا الروحي.

* الإنسان يحتاج إلي قبول اجتماعي:

منذ قديم الزمان- كما هو واضح من قصة برج بابل- والبشرية تسعي نحو الصداقة والقبول الاجتماعي، ويصور التاريخ محاولات الإنسان للحصول علي العلاقات السليمة، والثقة المتبادلة والأخوة والصداقة.. إلا أن المثاليات والاتفاقيات والإجراءات السياسية لم

تحقق له ما يبحث عنه.. فالإنسان مخلوق يشعر بالوحدة القاتلة، وبالرغم من بحثه عن علاقة سلام وقبول مع الآخرين إلا أنه يوجد قدر كبير من الشك والحقد والكره بين الإنسان وأخيه الإنسان.. بسبب الخطية.. إن حصول الإنسان علي السلام مع الله يضمن أيضا حصوله علي السلام مع إخوته من بني البشر.

* الإنسان يحتاج إلي غفران شامل:

فالإنسان مستحق للعقاب.. أي مذنب. فالقاتل المدان كما قلنا سابقا قد يرغب في بدء حياة جديدة لكنه يحتاج أولا أن يتحرر من الدينونة بصدور حكم البراءة. كذلك في الجانب الروحي فأجرة الخطية هي موت (رومية ٦: ٢٣) فلا يمكن لتوبة أن يكون لها فائدة قبل البراءة ولا يمكن لأعمال صالحة مهما كانت فائدتها وسموها أن يكون لها نفع قبل حكم البراءة، ولا يمكن للعمل الصالح أن يلغي بتأثيره أضرار الأعمال الشريرة.

فنحن نحتاج إلي غفران شامل.

هل هناك حل لما فعلته الخطية من إنفصال بين الله.. والإنسان؟ وبين الإنسان.. ونفسه.. والآخرين.. هل هناك حل لكل هذا الدمار الشامل؟

بالتأكيد فإن الله المحب لم يترك الإنسان هكذا.. إن الله المحب في بحثه عن الإنسان دبر له خلاصاً.. والإنسان في تشوقه لهذا الحل

يصرخ: «ليس بيننا مصالح يضع يده علي كلينا» (أيوب ٩: ٣٣).
لا.. بل هناك من صالحنا« بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة» (رومية ٥: ١١).

لكن من هو يسوع المسيح؟ إن الكتاب المقدس يقول عن المسيح إنه «الإعلان النهائي لله» .

ومن عرف يسوع المسيح فقد عرف الله.. ومن عرف الله وجد الحل.

هل تعرف من هو يسوع المسيح؟ ذاك الذي يكمن فيه الجواب الشافي لكل أسئلة الإنسان وحيرته.

هذا هو موضوع الفصل القادم.

الفصل الرابع

من هو يسوع

إن يسوع الناصري كان دائماً وما زال الشخصية الرائعة الجذابة فهو يجذب انتباه الكثيرين من كبار وصغار، من شعراء وفلاسفة، كتاب ترانيم، الأغنياء والفقراء، البيض والسود والصفر، فالشغف به كبير جدا سواء في الشرق أو في الغرب، في الشمال أو في الجنوب، في البلاد المتقدمة أو النامية، سواء كانت البلاد شيوعية أو ديموقراطية فهو يقف بثبات عبر التاريخ لكنه فوق التاريخ.. وبالرغم من أن رسالة يسوع تأتي لنا عبر قرون عديدة فإننا نجدها رسالة تصلح لعصرنا الحاضر وكل العصور.. كانت حياة يسوع مثالية، وتعاليمه رائعة فحياته كانت نموذجاً لم يوجد مثله من قبل أو من بعد، سواء في المحبة أو التواضع أو غيرها من الصفات. وتعاليمه أعطت المفاتيح الأخلاقية للكمال الروحي، باختصار كانت حياته عامرة بالهدف والمعني والانسجام الداخلي.. أي أن يسوع كان كاملا.. والمسيحيون يسرون بسماع كل هذا لكنهم يريدون أن يقولوا أكثر من ذلك: إننا في المسيح وجدنا الله بطريقة عظيمة تفوق كل فهمنا المحدود للأمور.. أي أن الله صار إنسانا في شخص يسوع المسيح، وهذا الأمر حدث لأن الله أحبنا وأراد أن يأتي حيث نكون ليساعدنا.

لماذا يؤمن المسيحيون أن المسيح هو الله؟

الشيء المؤكد أن المسيحيين الأولين لم يخترعوا حقيقة أن يسوع الناصري هو ابن الله الأزلي لكي يحصلوا علي أتباع لهم. إن خلفية التلاميذ اليهودية لم تجهزهم لهذه النتيجة فاليهود في ذلك الوقت كانوا يتوقعون مجيء المسيا (المسيح) لكنهم لم يعرفوا أن المسيا هو الله المتجسد.. لذلك كانت خلفيتهم اليهودية عائقاً لهم عن قبول هذا الأمر.

والرب يسوع المسيح لم يحاول مطلقاً أن يثبت منطقياً أنه الله. لقد قال: «الذي رآني فقد رأي الآب» (يوحنا ١٤: ٩) ذلك لأنه هو الله.. فما الذي يمكن إثباته أعظم من وجوده؟ لقد شاهدت جماهير اليهود يسوع الذي أذهلهم من تعاليمه فقد كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة (متي ٧: ٢٩).. كذلك شاهدوه وهو يجري المعجزات ويشفي المرضي ويطعم المحتاجين ويقيم الموتي فزاد تعجبهم بل شاركهم التعجب التلاميذ أيضا. الذين ذهبوا في إيمانهم إلي حد أنهم أقروا أن يسوع هو المخلص الموعود به لإسرائيل فهو المسيا (المسيح) المختار من عند الله والذي تكلم عنه الأنبياء في العهد القديم (التوراة). وقد اهتز إيمان التلاميذ عندما قبض على يسوع وحوكم ثم صلب ومات.. لكن بعد قيامته من الأموات استعادوا تماسك إيمانهم مرة أخري عندما ظهر لهم مرات عديدة بعد قيامته من الأموات، وأيقنوا تماماً أنه المسيا الذي انتظروه طويلاً، وأنه الله

الظاهر في الجسد، وعندما تركهم وصعد إلي السماء لم يهتز إيمانهم فقد كانت لديهم الثقة أنه حي في السماء وإلي الأبد.

ويمكننا أن نلخص الأسباب التي جعلت المسيحيين يؤمنون أن المسيح يسوع هو ابن الله فيما يلي(*):

أولا: أعلن يسوع المسيح ألوهيته.. سواء في أحاديثه المختلفة أو في قبوله السجود له وشهادة الآخرين له (اقرأ إنجيل مرقس ١٤: ٦١- ٦٤، يوحنا ١٠: ٣٠و ٣٣، يوحنا ١٤: ٩).

ثانيا: يسوع يعمل أعمال الله: يغفر الخطايا، يعطي الحياة، يدين البشر، كذلك بمعجزاته أظهر سلطانه علي المادة، المرض، والموت (اقرأ إنجيل مرقس ٢: ٧، يوحنا ١٤: ٦، يوحنا ٥: ٢٧).

ثالثا: يسوع يحمل ألقاب الله: مثل يهوه (أي الرب)، ابن الله، ابن الإنسان (وهو لقب يهودي له دلالة كما جاء في دانيال ٧: ١٣و ١٤.. فهو لقب يجمع بين كونه المسيا وعبد الرب «يهوه»). (اقرأ يوحنا ٨: ٢٣، متي ١٣: ١٤و ١٥، متي ١٦: ١٦و ١٧).

أخيراً وليس آخرا (فلو فرضنا أن الله تجسد وأخذ صورة إنسان فماذا سيعمل؟ وكيف يجب أن يكون؟) أو هل كان ليسوع صفات

(*) لمزيد من التفاصيل اقرأ جوش مكدويل «برهان يتطلب قرارا» دار الثقافة- القاهرة، الفصل السادس- الثامن- ١٩٨٣.

الله؟

لقد أظهر المسيح كل صفات الله علي الأرض.. فلو أن الله صار إنساناً فإننا نتوقع منه أن:

١- يدخل إلي العالم بطريقة غير عادية (المسيح ولد ميلاداً عذراويا) متي ١: ٢٣.

٢- يكون بلا خطية (قال يسوع من منكم يبكتني علي خطية) يوحنا ٨: ٤٦.

٣- يجري معجزات (لقد أجري يسوع معجزات إلهية).

٤- يكون مختلفاً عن كل من عداه (وهذا أجمع عليه التاريخ).

٥- يقول أعظم ما يقال (لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان) يوحنا ٧: ٤٦.

٦- يكون تأثيره شاملاً ودائماً (ملايين البشر علي مر العصور يشهدون لقوة المسيح في تغيير النفس البشرية).

٧- يشبع جوع الناس الروحي (اقرأ يوحنا ٤: ١٤، يوحنا ١٠: ١٠).

٨- يكون له سلطان علي الموت (اقرأ متي ٢٦: ٥٣و ٥٤، يوحنا

. ١: ١٨ ، لوقا ٢٤: ٥- ٧) فقد قام من الأموات وقبره خال.

فعلا تعوزنا الصفحات، والمداد لنكتب الكثير عن اثباتات ألوهية المسيح الذي في أوقات تجسده لم يحاول أن يقنع أحداً أنه الله.. لكن كان وجوده كالله الظاهر في الجسد هو أكبر دليل علي ألوهيته، ولا يحتاج إلي دليل آخر.



نتيجة لهذا الموقف واجهت الكنيسة مواقفاً صعبة في القرون الأولي للمسيحية:

أن يؤمن الإنسان أن يسوع كان إنساناً غير عادي فهذا شيء سهل.. وأن يؤمن أن يسوع هو الله فهذا شيء صعب.. أما أن يؤمن أن يسوع المسيح هو الله وإنسان في نفس الوقت فهذا أمر صعب جداً.

بالطبع كان المسيحيون الأوائل أذكي من أن يصدروا مشاكل عقلية جدلية للمسيحيين الذين سيؤمنون بعد ذلك.. فأغلب مسيحيي القرن الأول كانوا راضين بهذه الحقيقة.. وقبلوا ما علّم به الرسل عن الرب يسوع المسيح.. بل خدموا أيضا وأوصلوا رسالة الإنجيل إلي كل الإمبراطورية الرومانية.. ولكن ترتب علي ذلك أن جاء وقت فُرضت فيه مواجهة الأسئلة الصعبة خاصة عندما أثير موضوع التعليم الخاطيء داخل الكنيسة.. فقد ظهر بعض المعلمين الكذبة الذين كانوا يقولون إن يسوع هو إنسان كامل وليس الله وآخرون قالوا إنه لم يكن إنساناً كاملاً بل كان كائناً روحياً نزل من السماء آخذاً صورة إنسان، والبعض الآخر قالوا إنه كان طيفاً نورانياً ولم يكن له جسد مادي. أي أن يسوع لم يكن إنساناً حقيقياً.. ثم هناك فريق ثالث قال إن يسوع لم يكن إلهاً كاملاً ولم يكن إنساناً كاملاً، لكنه شيء وسط بين الاثنين وتفرعت من هذه البدع بدع أخري كثيرة.

لذلك جاء وقت وبالتحديد عام ٣٢٥ ميلادية عندما اجتمع في مدينة تدعي نيقية قادة الكنيسة في كل العالم لمناقشة هذه الأمور. ثم أقر هؤلاء المسيحيون في مجمع نيقية بتعبيرات واضحة ومحددة أن ألوهية الآب هي ألوهية الابن.. فإذا كان الآب هو الله فالابن كذلك.

ثم عقد مجمع آخر بعد ذلك وبالتحديد في عام ٤٥١ ميلادية في مدينة أخري تدعي خلقدونية وتم في هذا المجمع الجديد إقرار صيغة مماثلة تقريباً للصيغة الأولي.. لكن بصياغة أكثر دقة.. وهذه الصياغة صارت قانون الإيمان الخلقدوني في الكنيسة.

مما سبق يتضح لنا أن الهجوم علي ألوهية المسيح كحقيقة في الإيمان المسيحي ليس بالأمر الجديد.. فهي أسئلة لم تواجه الكنيسة في العصر الحاضر فقط بل علي مر العصور.

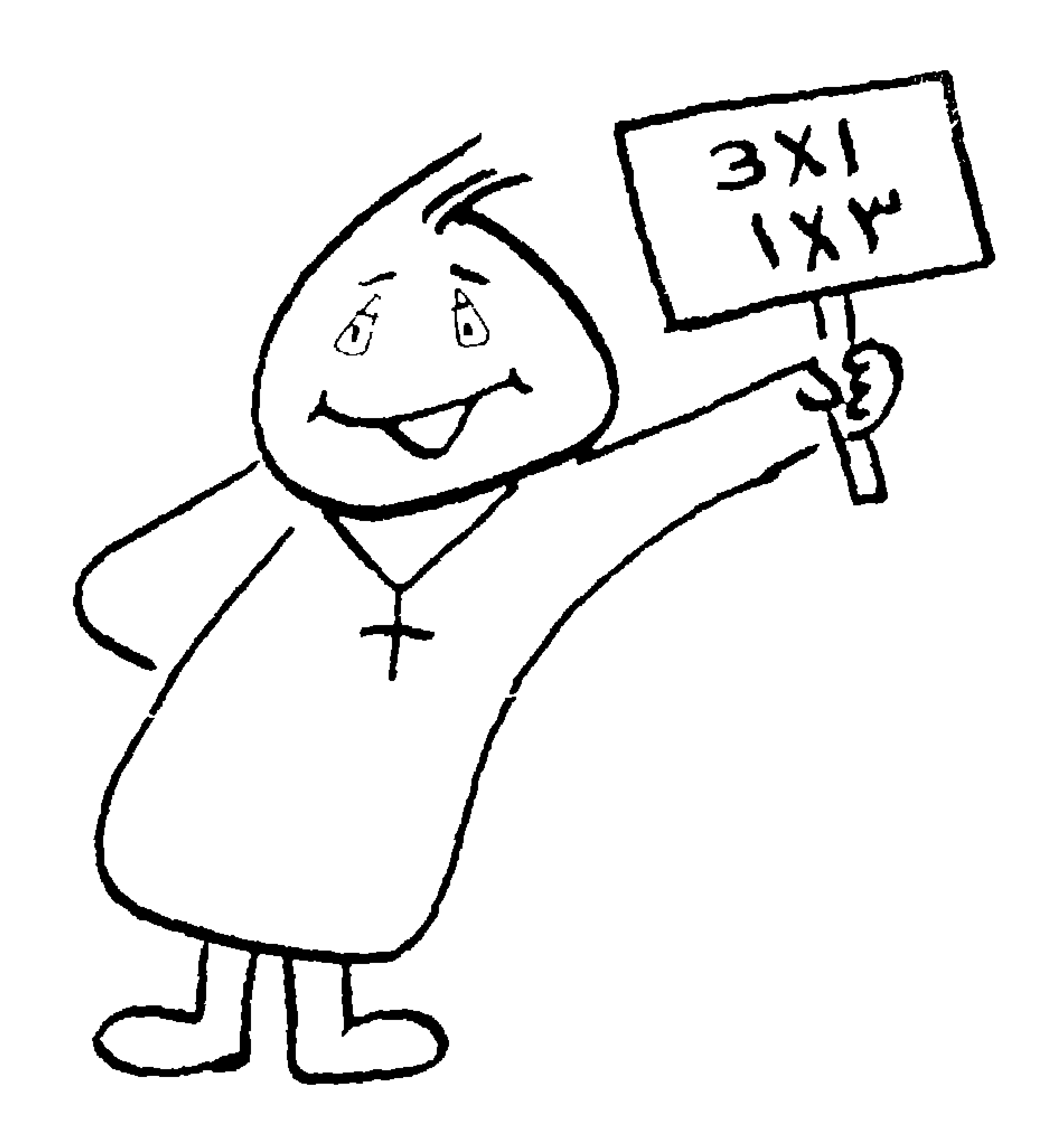
وقد جاءت أوقات كما رأينا لتقف الكنيسة أمام طارحي السؤال سواء عن سوء نية أو عن نية صالحة.. وقفت الكنيسة مع نفسها أولا وأمام ما سطره الوحي المقدس.. وبعد التفكير المتأني أقرت الكنيسة في كل مرة بألفاظ دقيقة، لا يمكن أن يساء فهمها أن يسوع هو **إنسان كامل وإله كامل** في نفس الوقت.. وهذا ما يعلنه الإنجيل صراحة.. والمسيحيون يعترفون إنه **إنسان كامل**.. لكي يستطيع أن يمثل البشر تمثيلاً حقيقياً ويقوم بالفداء كذبيحة عن البشر. **وهو أيضا الله** ليكون تأثير هذا الفداء شاملاً كل البشر، ويدفع الثمن الغير محدود لتأثير الخطية الغير محدود.

فالمسيح يسوع هو **إله حقيقي** وكذلك **إنسان حقيقي** متحدان في شخص واحد هو عمانوئيل (الله معنا).

لكن قد يسأل البعض بعد أن يقرأوا الكلام السابق ألا يؤمن

المسيحيون بوجود إله واحد؟ ونحن نجيب فنقول الإيمان بالإله الواحد هو تعليم أساسي في الكتاب المقدس فإذا كان الآب إله والروح القدس إله أيضا فهذا لا يعني أن المسيحيين يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة بل بثلاثة أقانيم في إله واحد.

لماذا يؤمن المسيحيون أن الله واحد في ثلاثة



لو تخيلنا أن لعبة تتحرك بزنبرك أمكنها أن تفكر وتتكلم فماذا يمكن أن يكون رأيها فيمن صنعها؟ أليس من الطبيعي أنها تتصور أنه

يشبهها في كل شيء عدا كونه أكبر حجماً، والزنبرك الذي يحركه أكبر حجماً؟ هكذا الإنسان يتصور أن الله مثلنا لكنه أكبر وأقوي كثيراً ويسكن في الأعالي.

ونحن نتكلم عن شخص الله، كنا قد ذكرنا أن الله لا يوجد شيء يشبهه.. فالله هو الله وإن كنا وصفناه بتعبيرات بشرية فهي تظل قاصرة عن تعريفنا لله الذي قال «فبمن تشبهونني فأساويه» (إشعياء ٤: ٢٥).

كذلك في محاولاتنا كبشر في تفسير عقيدة **الثالوث** نكون كمن يحاول أن يفهم من هو الله.. وبالرغم من أن هذا الأمر يفوق إدراكنا ويجب أن نقبله ببساطة.. إلا أن هذا لا يمنعنا من الاجتهاد والبحث في محاولة الفهم.

أولاً: وحدانية الله وحدانية مركبة وليست بسيطة:

كثيرون يظنون أن إيمان المسيحية **بالثالوث** هو (شرك) بالله.. فنحن نجد في الكون **وحدانيات بسيطة** كقطعة المعدن أو خلية الأميبا الواحدة.. لكن كلما تقدمنا في عالم الكائنات الحية وجدنا **وحدة مركبة** تركيبا معقدا وقمة هذا التركيب هو الإنسان، ومع ذلك فنحن نتحدث عن الفرد الواحد وأنه شخص واحد.. فإذا كانت وحدة الكائن البشري المحدود في الزمان والمكان تتكون من كل هذا التنوع الغني في العناصر والوظائف.. **ألا نتوقع أن تكون وحدة الله سبحانه وتعالي**

أكثر غني وعمقا وثراء من الكائن المخلوق؟.. فهل تستكثر علي الله أن يجمع في ذاته الواحدة الأقانيم الثلاثة.. فوحدة الله هي وحدة غنية في إطار الثالوث الأقدس.. وهي تعبر عن أبعاد ثلاثة في التعامل الإلهي مع البشر.. **فهو الآب الذي خلقنا وأحبنا، وهو الابن الذي تجسد وفدانا، وهو الروح القدس الذي يسكن في قلوب المؤمنين** ويعلن لهم في اختبارهم اليومي شخص الله في حياتهم.

ثانيا: وصل إلينا مفهوم الثالوث خلال تعاليم السيد المسيح:

لقد كان التلاميذ وكل اليهود يعتقدون اعتقاداً راسخاً بوحدانية الله لكن كانت هناك أسئلة محيرة تدور في عقل التلاميذ نتيجة لما سمعوه ورأوه في شخص يسوع المسيح.. أي نوع من البشر يمكن أن يكون هذا الإنسان وبأي سلطان يفعل هذا؟ من غير الله يستطيع أن يغفر الخطايا؟ ولكن يسوع كان يغفر الخطايا.. كان يتكلم مع الله علي أنه أبوه ويناديه كما ينادي الابن أباه قائلا له: «يابابا» علي عكس اليهود الذين كانوا يدعون الله «بالآب» مستخدمين التعبير الرسمي الفصيح.

لكن يسوع كان يستخدم التعبير الدارج «آبا» كما يتحدث الابن إلي أبيه بدون تكلف، وكانوا يلاحظون أن الله يبدو حاضراً من خلال المسيح بطريقة يشعرون بها يقينا.. ولكن يصعب عليهم شرحها.. لقد بدا يسوع لهم (كمرآة) استطاعوا أن يروا فيها صورة الله. لقد حدثهم

عن الله ثم تصرف تماما كالله الذي وصفه لهم.. كان يبحث عن الخاطيء ثم يقبل الخطاة ويتشارك معهم في حياتهم، بالرغم من رفض المجتمع لهم حتي يربحهم تائبين إلي ملكوت الله.. لقد كانت لدي يسوع شفافية خاصة رأوا الله من خلالها. لقد وجدوا أنفسهم ينظرون إلي الله بكيفية عجيبة من خلال هذا الشخص.. لذلك نجد التلاميذ يكتبون عنه هذه التعبيرات العجيبة نتيجة لاختبارهم العجيب والعميق.. فنري يوحنا يكتب: «والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يوحنا ١: ١٤)

ثالثا: وصل إلينا مفهوم الثالوث نتيجة لبرهان الاختبار المسيحي:

لقد اختبر التلاميذ أن وجود الله وتعامله معهم وعمله الذي ظهر في يسوع لم ينته بعد أن فارقهم يسوع بالجسد.. بل بالعكس لقد شعروا أن يسوع لم يفارقهم.. شعروا بوجوده معهم رغم غيابه بالجسد بل ربما أحسوا به أقرب إليهم وأقوي مما كان في الماضي وهو معهم بالجسد. وتذكروا كلامه لهم عن الروح المعزي «روح الحق فهو يرشدكم إلي جميع الحق» (يوحنا ١٦: ١٣).. ففي اختبار التلاميذ تحدثوا عن المسيح الحي فيهم.. فهذا بولس الرسول يقول « المسيح يحيا فيّ» (غلاطية ٢: ٢).

ففي حياة التلاميذ عبدوا الآب باسم الابن وبحضور الروح القدس

وقوته.

كانت لهم شركة بعضهم مع بعض في محبة الله وعلموا أن خلاصهم ورجاءهم في الحياة الأبدية يعتمد كلية علي عمل الآب والابن والروح القدس لأجلهم.. فهم لم يقدموا في الإنجيل لا سبباً ولا شرحاً لكيفية كون الله واحد في ثلاثة.. ولكن ما عملوه هو شيء أقوي من المنطق ومن الشرح أيضاً.. لقد قدموا شهادة لكيفية اختبارهم الله الآب والابن والروح القدس. واليوم يختبر المسيحيون المؤمنون الله الحي كما اختبره المسيحيون الأوائل فهم يختبرونه كإله واحد ومع ذلك فهو الآب والابن والروح القدس.

لقد أدرك التلاميذ معني الثالوث لأنهم سبق أن اختبروه في حياتهم. وهذا ما يمكن أن يختبره كل مؤمن بالمسيح ومن ضمنهم أنت وأنا.

* هل تجسد الله ليقدم مثالاً صالحاً وتعاليماً رائعة فقط:

تؤمن المسيحية أن يسوع المسيح لديه الكثير لكي يقدمه أكثر من مجرد التعليم والمثال الصالح. فنحن نجد الرسل يخبرون الناس أن يسوع المسيح من خلال موته وقيامته قد قدم للبشرية شيئاً ما، حتي أن الإيمان بما فعله يجعل حياة الناس مختلفة تماما.. والناس من كل شعب وقبيلة وأمة قد سمعوا هذه الأخبار السارة ومن خلال إيمان هذه الاخبار آمن الكثيرون به وتغيرت حياتهم.

* ما هو معني موت المسيح وقيامته:

يعلن الكتاب المقدس أن موت المسيح هو السبيل الذي عالج به الله خطية البشر وأنه بدون موت المسيح فلا خلاص.. فالجنس البشري الساقط في الخطية ليس له رجاء أو معين غير الله متجسدا لأنه وحده قادر علي الوفاء بما يقتضيه الخلاص.. فالتجسد لازم لأن الإنسان محكوم عليه بالموت الأبدي ولا شيء ينقذه منه غير الله ذاته.. فالمسيح كإنسان كان ممثلا للجنس البشري.. وصار ذبيحة لأجلنا سافكاً دمه عنا. وفكرة سفك الدم وتقديم الذبيحة عن الخطية هو فكر قديم أبلغه الله لعبيده وأنبيائه في القديم.. وقد كانوا يكفرون عن خطاياهم بالذبيحة أي بسفك الدم، والمسيح الإنسان سفك دمه ذبيحة عنا جميعاً.. كذلك في كونه إلها استطاع أن يدفع الثمن الغير محدود ليفي مطالب عدل الله تجاه النتائج **غير المحدودة** للخطية (كما شرحنا سابقا).

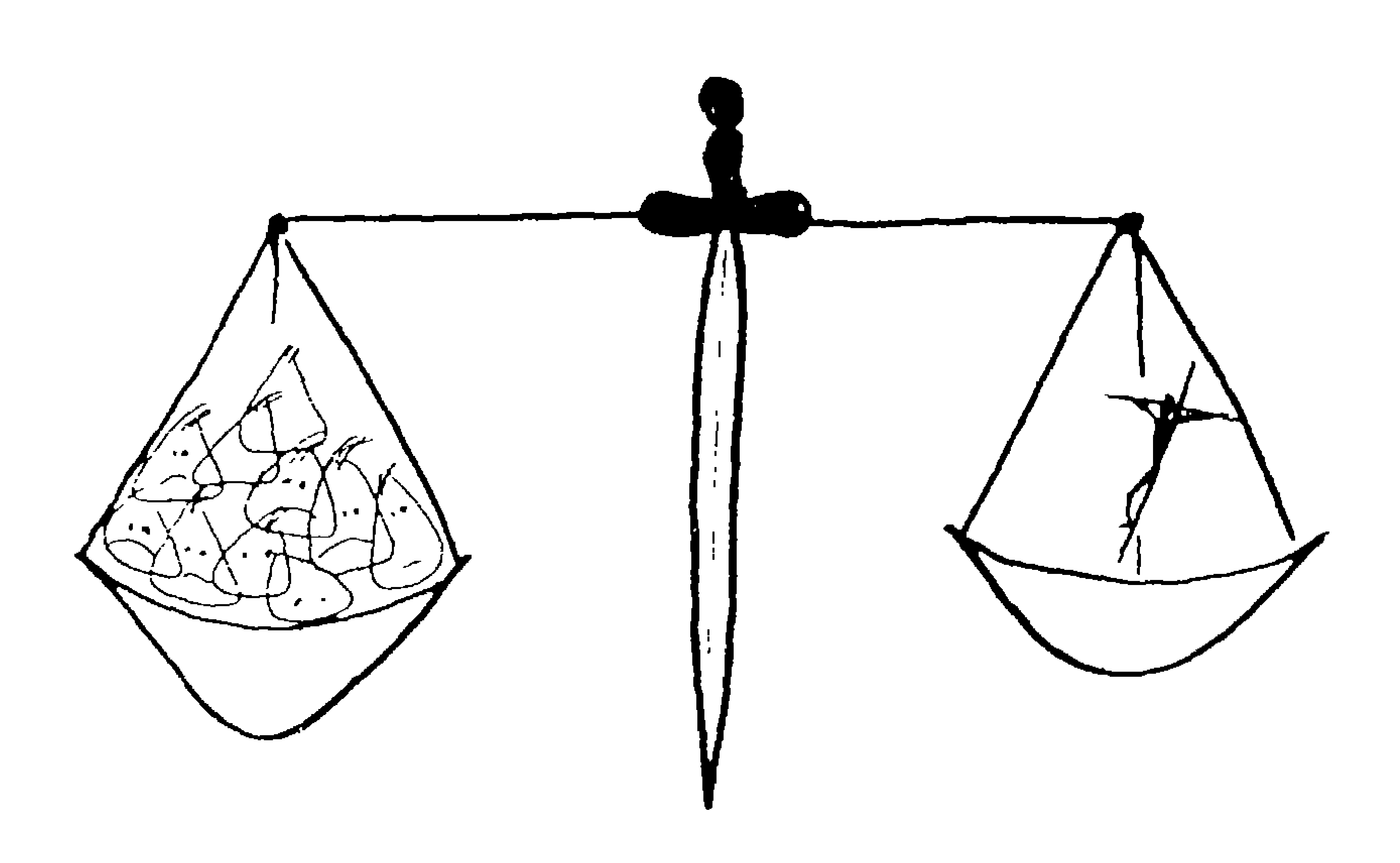
فالتجسد والفداء هما تدبير حكمة الله العجيبة والواسطة الأنسب والأفضل بل والضرورية لأجل خلاص الجنس البشري. إن كل ديانات العالم تقول لك ماذا تفعل كإنسان لكي تخلص.. أما المسيحية فهي تقول لك (ماذا فعل الله للإنسان لكي يخلص الإنسان).

لقد كان المسيح علي الصليب متمما لنبوات العهد القديم وفي الصليب تحمل الألم، وتحمل الحكم بسبب حمله لخطايا كل البشر. وكل

ما نستطيع أن نقوله إنه في الصليب ظهر حب الله الآب لنا في أروع صورة، لأنه «هكذا أحب الله العالم حتي بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦) «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء- أي لا يمكن أن نصنع شيئاً لخلاص أنفسنا- مات في الوقت المعين لأجل الفجار» «ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥: ٦و٨).

تعالوا الآن لنلقي نظرة علي بعض نتائج موت المسيح وقيامته لحياتنا.

*** ما الذي يعنيه أن يسوع المسيح مات كفارة عن البشر:**



الفعل يكفر يعني أنه يستر خطايانا، وهو في الإنجليزية (ATONE) التي تجمع بين كلمتين (AT- One) أي أن المسيح بموته لأجل خطايا العالم.. استطاع أن يجعل كل الناس (at- one) أي (في وحدة) مع الله.

١- موت المسيح تحقيق لما جاء في العهد القديم (التوراة): (*)

يعلن العهد القديم أنه لن تكون هناك مصالحة بين الله والناس بدون

(*) يذكر أحد علماء الكتاب المقدس أن العهد القديم به ٣٣٢ نبوة تحققت بمجيء المسيح.. سوف أختار منها بعضا ومكان تحقيقها في العهد الجديد:

النبوة في العهد القديم		التحقيق في العهد الجديد
١- خيانة صديق	مزمور ٤١: ٩، مزمور ٥٥: ١٢- ١٤	متي ١:٤، يوحنا ١٣: ٢١
٢- بيع بثلاثين من الفضة	زكريا ١١: ١٢	متي ٢٦: ١٥
٣- الثمن دفع لحقل الفخاري	زكريا ١١: ٣	متي ٢٧: ٧- ١٠
٤- تلاميذه يتركونه	زكريا ١٣: ٧	مرقس ١٤: ٥٠
٥- مجروح ومسحوق	إشعياء ٥٣: ٥	متي ٢٧: ٢٦
٦- مضروب ومتفول عليه	إشعياء ٥٠:٦	لوقا ٢٢: ٦٣و ٦٤
٧- ثقبوا يديه ورجليه	مزمور ٢٢: ١٦ أ	يوحنا ٢٠: ٢٥
٨- يصلب بين لصوص (أحصي مع أثمة)	إشعياء ٥٣: ١٢	مرقس ١٥: ٢٧و ٢٨
٩- علي ثوبه يقترعون	مزمور ٢٢: ١٨	يوحنا ١٩: ٢٣و ٢٤
١٠- قيامته	مزمور ١٦: ٨- ١٠	لوقا ٢٤: ٦
	هوشع ٦: ٢	يوحنا ٢٠: ٧- ٩

تقديم ذبيحة.. فلا يرفع الذنب عن الخاطيء إلا بتقديم الذبيحة أو لم تكن في ذبائح العهد القديم الحيوانية في ذاتها القدرة علي أن تمحو الخطية أو تكون الحل الأخير لها. لكن العهد الجديد يري هذه الذبائح مقدمة للذبيحة الكاملة التي قدمها يسوع المسيح بموته الكفاري عن كل خطايا البشر.. إذن لكل من يقبل ما عمله الله بموت المسيح يكون حراً من ذنب أو جرم الخطية أي يبرره الله.. وهذه أول خطوة نحو التحرر الكامل ومن ناحية أخري إذا كنّا قد علمنا أن وعود الله في العهد القديم عن المسيا قد تمت فالله إذن قد حفظ وعوده. ألا يحفظ ويتمم الوعود التي أعطاها للذين يؤمنون بابنه يسوع؟

٢- موت المسيح مبادرة لعلاقة جديدة:

يعلمنا الكتاب المقدس أن الخطية أقامت فاصلاً بين الإنسان والله ويسوع المسيح هو الذي حمل خطية الإنسان، وبإرادته الكاملة تحمل عقابها علي الصليب.. ونشأت بذلك علاقة جديدة بين الله وأولئك الذين قبلوا (أي وافقوا بعمله) وأصبح لهم الحق في غفران خطاياهم، وتحولت العداوة إلي صداقة.. لم يعد أولئك الذين ارتبطوا بالمسيح «متمردين» في نظر الله بل أصبح المؤمن «شخصاً جديداً تماماً» وهذا ما نسميه **«الأخبار المفرحة»**، وهي ما تعنيه كلمة **«إنجيل»**.

٣- موت المسيح أبطل سلطان الخطية:

إن الفداء في الكتاب المقدس مبدأ هام، وفكر عظيم (فداء شخص

يعني إعادة شرائه وتحريره من العبودية) ويقدم الكتاب المقدس يسوع كالشخص الذي بموته تم فداء البشر من دينونة الله فبعد أن حمل عنا يسوع المسيح إثم الخطية لم تعد للخطية القوة التي تسيطر بها علي حياة الإنسان.. وهكذا يستطيع الإنسان أن يتوب الآن بمعني أن يحصل علي اتجاه جديد، وبالتالي حياة جديدة.

٤- موت المسيح يقدم طريق الانتصار:

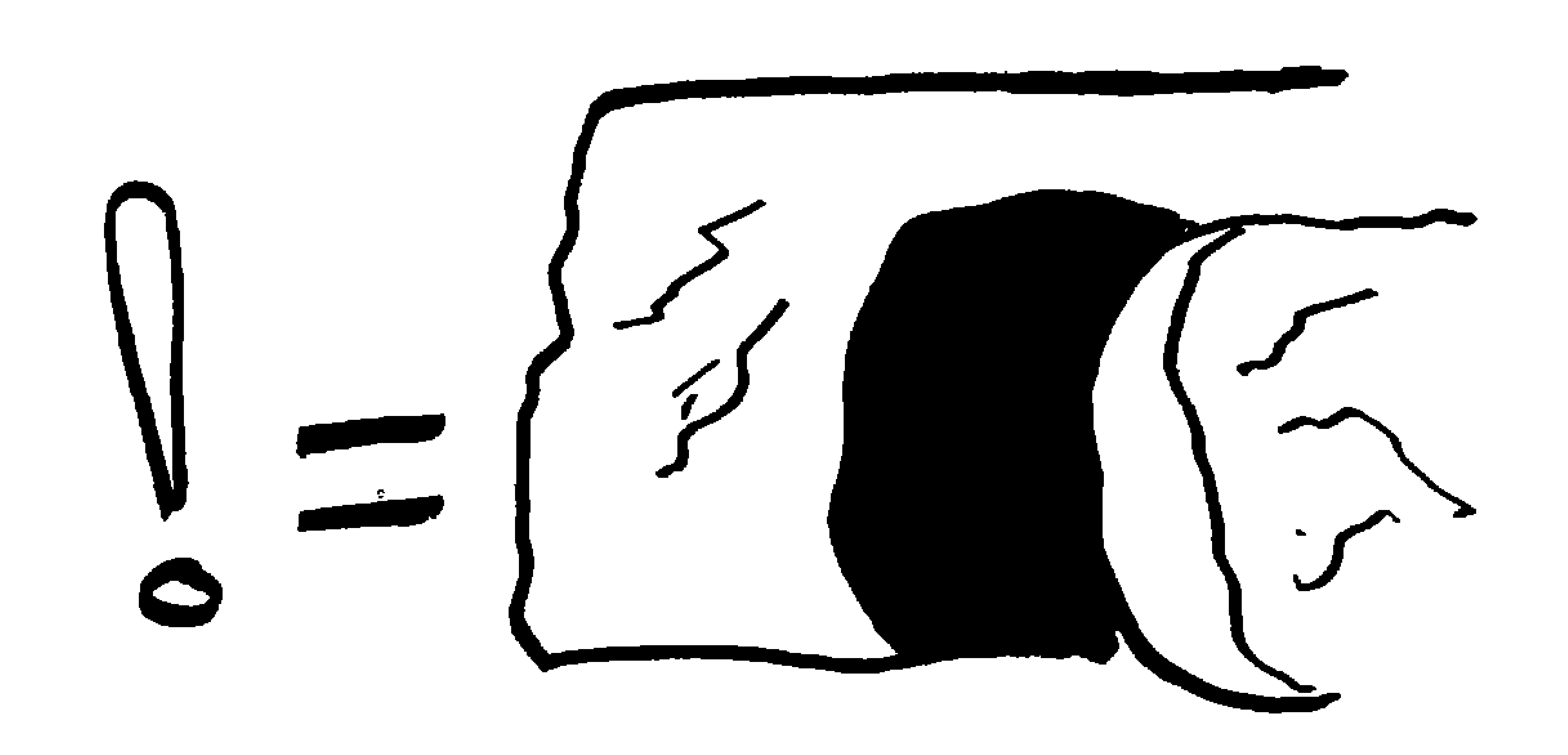
بالصليب تجمد سلطان إبليس مؤقتاً لحين يتم هلاكه النهائي في المجيء الثاني للمسيح، وبالصليب دفع عنا اثم وجرم الخطية وهكذا حصل المسيحي المؤمن علي حريته في الصليب.. إلا أنه لم يتحرر من الصراع في سبيل حياة القداسة والبر.. وإن كان الله قد زود الإنسان أمام هذا الصراع والمواجهة في الحرب الروحية بأسلحة روحية من عنده.. والخلاص الشامل يعني أنه قد تم إنقاذنا من دينونة الخطية **بموت المخلص** ومن سلطان الخطية **بحياة المخلص** فينا وسوف نتخلص من الخطية تماما بالمجيء الثاني للمخلص.

٥- موت المسيح يضمن لنا الحياة الأبدية:

يؤكد الصليب أن الله أظهر محبته الأبدية لشعبه لأنه ليس أعظم من أن يموت ابنه الوحيد ليؤكد ذلك وبالرغم من أن الموت الجسدي مازال هو عدونا اللدود إلا أنه قد تمت هزيمته بالصليب وبقيامة الرب يسوع

المسيح وسوف تبطل كل قوة في مجيء المسيح ثانية.. كما ستبطل قوة إبليس.. فالصليب ضمان للمؤمن أنه سيرث الحياة الأبدية التي وعدنا بها الله.

* ما الذي تعنيه قيامة المسيح بالنسبة للإنسان:



بقيامة المسيح من الأموات أعلن الله لنا أن يسوع المسيح ابنه الوحيد هو مخلص العالم فعلي أساس قيامة المسيح تأسست المسيحية. وقيامة المسيح حدث تاريخي، هو ليس اسطورة وبالقيامة لم تعد المسيحية فلسفة دينية وأسلوبا للسلوك.. بل أصبحت إعلان الله للإنسان لأعظم وأهم أخبار سارة بالنسبة له.. فقيامة المسيح هي مركز وقلب الإيمان المسيحي «لو لم يكن قد قام فباطل إيمانكم» (١ كو ١٥: ١٤).

١- القيامة حدث تؤيده الأدلة:

إذا بحثنا الأدلة التي تؤكد قيامة المسيح نجد أمامنا وقائع ملموسة مؤكدة.. فهناك القبر الخالي، والأكفان الموضوعة جانبا، ولا يوجد تفسير لذلك سوي أن يسوع المسيح قد قام من بين الأموات.. كما أننا نجد أيضا في ظهور المسيح المقام في أوقات متفاوتة، وأمام أفراد مختلفين دليلاً قويا آخراً علي قيامته.. بجانب ذلك هناك الأدلة النفسية وهو التغيير الذي حدث في حياة شخصيات التلاميذ الذين تغيروا عما كانوا عليه قبل قيامته تغييراً شاملاً. كذلك إيمان الكنيسة الأولي في مواجهة الاضطهاد مما أدي إلي تغيير يوم الرب من السبت إلي الأحد كيوم اجتماع المسيحيين للعبادة بعد أن كان يوم السبت هو يوم الرب علي مدي قرون عديدة.

٢- القيامة تتضمن الوعد بنصرة نهائية:

لو لم يكن يسوع قد قام من الأموات لكان ذلك دليلاً علي فشل مهمته التي جاء من أجلها إلي العالم. فقيامة المسيح تؤكد أن إيمان المسيحيين ليس عبثاً أو باطلاً.. فمهمة المسيح لم تنته بالفشل بل توجت بالنصرة.

٣- القيامة هي قوة الاختبار المسيحي:

قيامة المسيح بالنسبة للمسيحي ليست حادثة تاريخية تمت منذ عشرين قرناً.. بل هي اختبار يعيش في حياة كل مسيحي مؤمن يؤثر في تفكيره وآماله وتصرفاته، ويعلمنا العهد الجديد أن علي المسيحيين

أن يكونوا مستعدين لأن يتشبهوا بالمسيح في موته وقيامته.. ويعني هذا أن نكون مستعدين لأن نموت عن ذواتنا واهتماماتنا الخاصة ونقوم في حياة جديدة كما مات المسيح وقام، ويعيش المسيحي المؤمن بالقوة التي أقام الله بها يسوع المسيح من الموت.

٤- القيامة تتضمن الوعد ببيت أبدي

انتصار المسيح علي الموت يجعلنا نغير وجهة نظرنا بشأن حرماننا من الأهل والأحباء عند الموت وحزننا عليهم.. فالموت لم يعد نهاية الإنسان.. فبعد أن عبر يسوع تجربة الموت ثم قام من بين الأموات أصبح لكل من هو تحت طائلة الموت- إذا آمن بيسوع- الحق في أن يعبر من الموت إلي الحياة معه في ملكوته.. وكما قام المسيح بجسد نوراني كذلك سيحصل المسيحي علي جسد مقام أبدي- جسد ممجد لا يمسه ضعف أو فساد.

٥- القيامة تؤكد مجيء المسيح ثانية:

هذا الوعد قاله يسوع مرارا.. وقد أكد أتباعه هذا الوعد. فكما أن التاريخ يبدأ بخلق الله لكل الأشياء.. فلا بد له من نهاية، عندما يرجع المسيح كرب وديان لكل البشر.. إن هذا الإيمان يعطي معني لوجودنا.. فإذا كانت وعود يسوع وكلامه بخصوص مجيئه ثانية صحيحة، وهي صحيحة بدون شك، فإنها تضفي علي حياتنا معني جديداً وهدفاً جديداً.

إن نقطة ضعف كل الديانات والفلسفات هي أنها تنتهي بأننا يمكننا أن نحصل علي خلاصنا بمجهوداتنا الشخصية.. وكيف يكون ذلك هو الحل عندما تكون المشكلة هي فساد طبيعتنا بسبب الخطية.. لكن المسيحية تضعنا في تلامس مع منبع الحب والحياة.. ذلك الذي مات من أجلنا ومزّق بصليبه الصك المكتوب علينا، وحررنا من العبودية للخطية ونقلنا إلي الحياة الأبدية التي فقدناها، ونعلم الآن أنها في المسيح.

هذا هو المسيح.. إعلان الله النهائي عن نفسه..

والإيمان بالمسيح هو الذي يفتح أمامنا الطرق لمعرفة الله، وبالتالي اكتشاف المعني والهدف وراء خلقنا ووجودنا.

لكن هنا يأتي السؤال.. تري ما هو المقصود بالإيمان؟؟

وكيف نؤمن؟

الفصل الخامس

كيف نؤمن

قد يظن البعض أن الإيمان المسيحي يتأتي بأن يظهر لي في رؤيا عينية أو في حلم أو أن يكلمني بصوت دون رؤية.. أو تحدث معجزة معينة في حياتي بها أعلم من خلالها أنها يد المسيح.. وبالتالي أؤمن به.. لكن تري ما هو المعني الحقيقي للإيمان؟

سواء الإيمان بشخص أو بفكر معين.

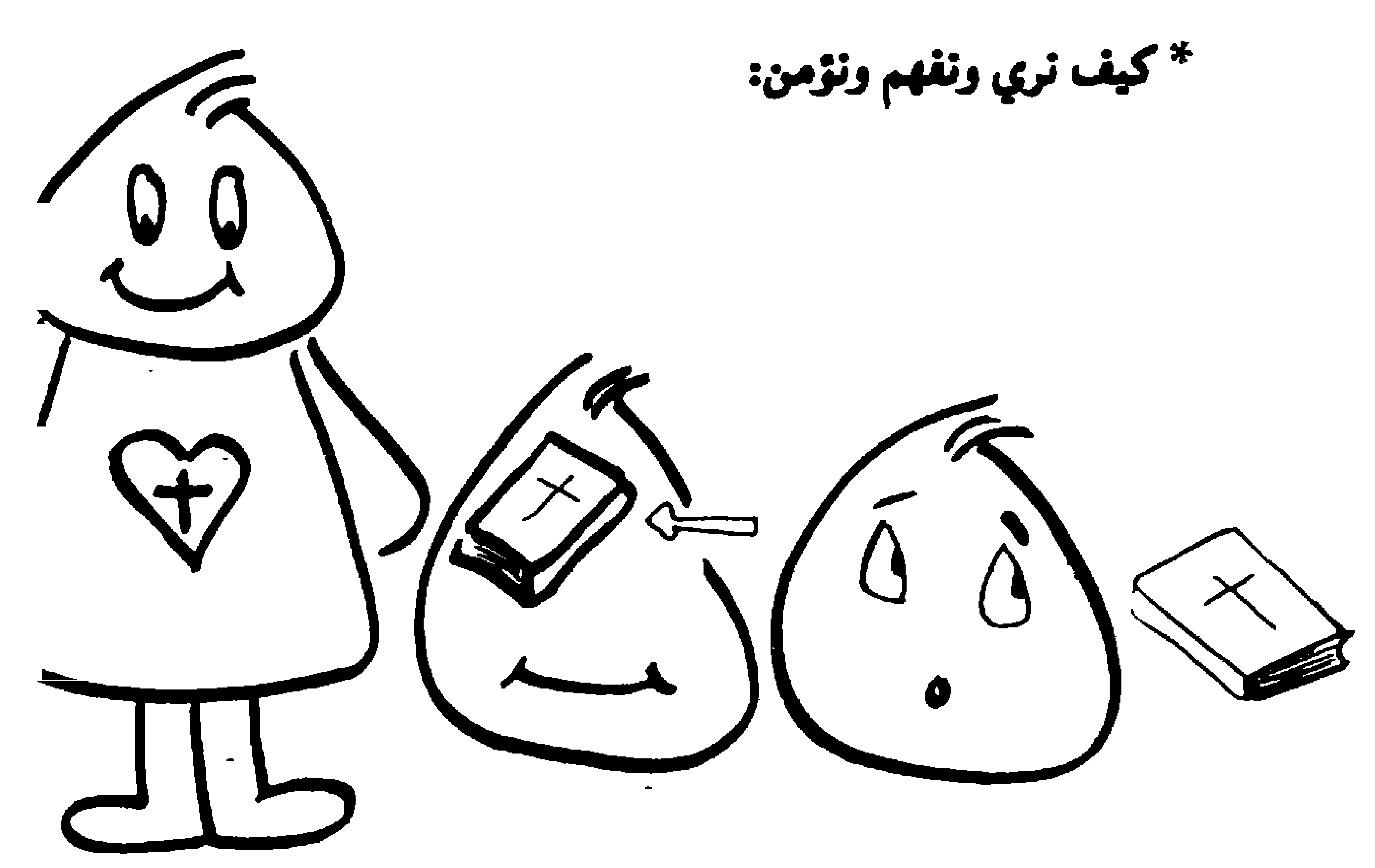
هل مجرد رؤية شخص تعني الإيمان به؟

فإذا سألتك: «هل رأيت نابليون؟» ستجيبني بالطبع لا.

لكنك تؤمن أنه وجد في زمان معين وعمل أعمالاً معينة.. أنه موجود بسبب قراءتك عنه. فأنت هنا صدقت شيئاً أو شخصاً «غير منظور» لك.. فالإيمان هو تصديق **«غير المنظور»**.

والمطلوب هنا هو **تصديق الله** فيما كتبه. والكتاب المقدس يقدم لنا أمثلة كثيرة لأناس **آمنوا**.. تعالوا نستعرض بعض الأمثلة عنهم لنري كيف آمنوا؟

* كيف نري ونفهم ونؤمن:



«.. لكني قد نطقتُ بما لم أفهم. بعجائب فوقي لم أعرفها اسمع الآن وأنا أتكلم. أسألك فتعلمني. بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني» (أيوب ٤٢: ٣- ٥).

كان أيوب يتطلع إلي رؤية الله فوجده في مخلوقاته وفي عنايته بها ومحبته للإنسان وتسخير كل شيء لخدمته وفي الأعمال المجيدة التي تتم لخيره.

+ «يارب افتح عينيه فيبصر» (ملوك الثاني ٦: ١٧).

رأى اليشع بعين الإيمان القوات السماوية التي تسنده والتي خفت عن عين خادمه وهكذا صرخ إلى الله كي يفتح عينيه ويرى ما يراه هو

بالإيمان.

+ أجاب توما وقال له: «ربي وإلهي» قال له يسوع: «لأنك رأيتني يا توما آمنت... طوبي للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠: ٣٨و ٣٩).

لم يؤمن توما وهو أحد التلاميذ إلا بعد أن رأى بعينيه يسوع المقام ولمسه بيديه - لأنه ظهر للتلاميذ في غيابه - وهكذا مهّد توما طريق الإيمان لكل من يتشكك بعده.

+ «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب» (يوحنا ١: ١٤) .

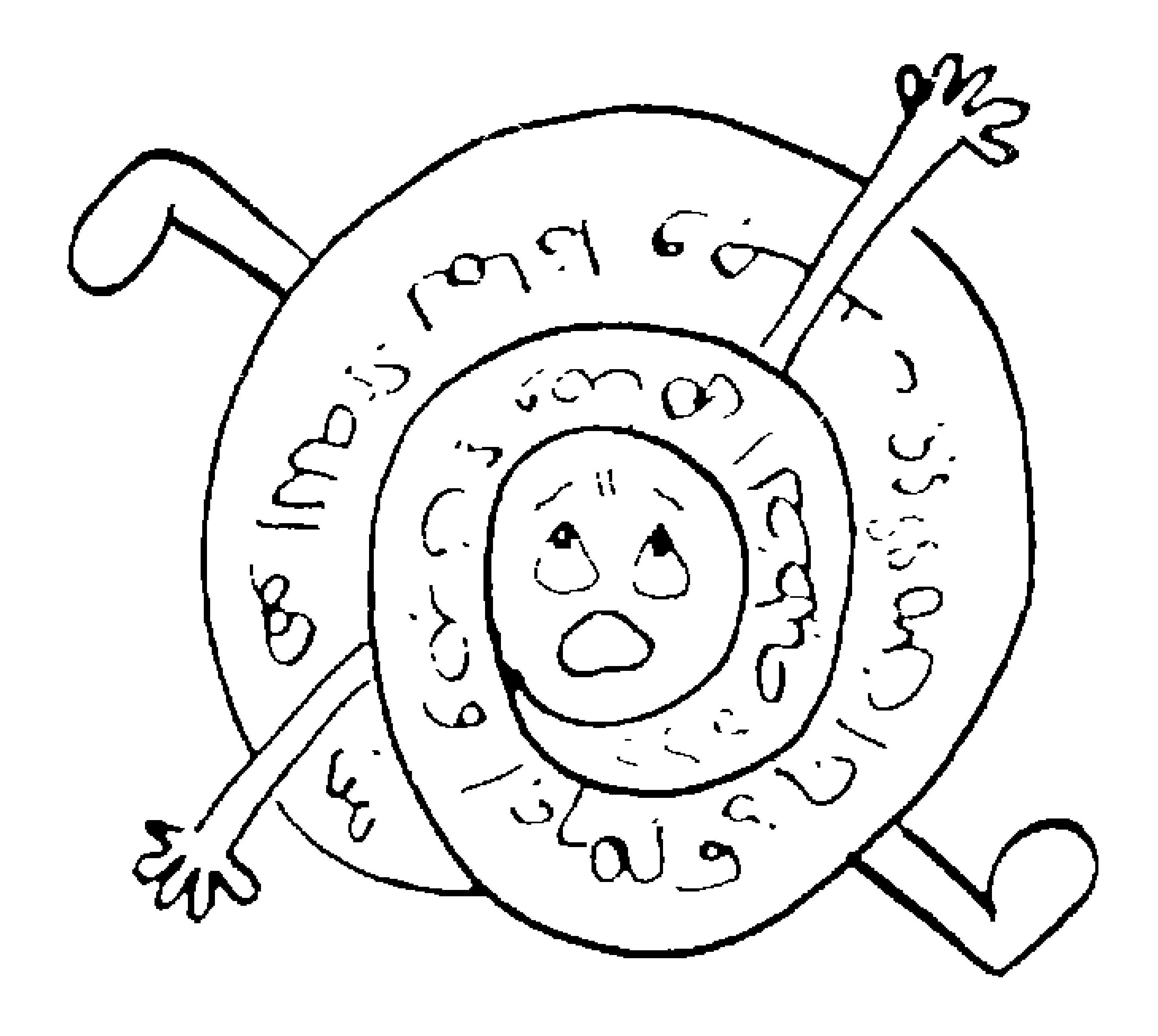
«الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة» (١ يوحنا ١: ١)

أما يوحنا فقد آمن بالله- يسوع المسيح- الذي ظهر في الجسد وحل بيننا ورأينا مجده، وسمعناه وعاش معنا ولمسناه بأيدينا.

+ وما نراه اليوم هو صورة باهتة في مرآة. وأما في ذلك اليوم فسنراه وجها لوجه (رسالة بولس الرسول الأولي إلي أهل كورنثوس ١٣: ١٢- كتاب الحياة).

كان الإيمان بالنسبة للرسول بولس يعني فهم كل ما تممه الله في شخص يسوع المسيح مع ملاحظة أن ما أمكنه إدراكه الآن لا يقاس بما سيعلن في السماء في الحياة الأبدية.

* إلي أين تقودنا تساؤلاتنا:



+ بدأنا بتساؤل أساسي: من أنا؟.. ولماذا وجدت؟ وأين أذهب؟.. واستعرضنا وجهات النظر المختلفة في الإجابة عن هذه الأسئلة.

+ ثم تعرضنا لموضوع التعرف علي **من هو الله**؟ وشاهدنا كيف أن كل رسول كانت له طريقته في معرفة الله وذلك من خلال علاقته الشخصية به.

+ وفي تحديد **ماهية الخطية** عرفنا أنها السبب في عدم وجود علاقة شخصية بين الله والإنسان أي أنها فصلت بينهما.. كذلك عرفنا معناها وأنها أفسدت الإنسان كله بل والخليقة كلها وأن الإنسان يحتاج إلي تغيير جذري في الاتجاه والهدف، والطبيعة.. الخ ذلك حتي ما يستطيع أن يعرف الله ويقيم معه علاقة شخصية.. إنه يحتاج أن يتخلص من الخطية.

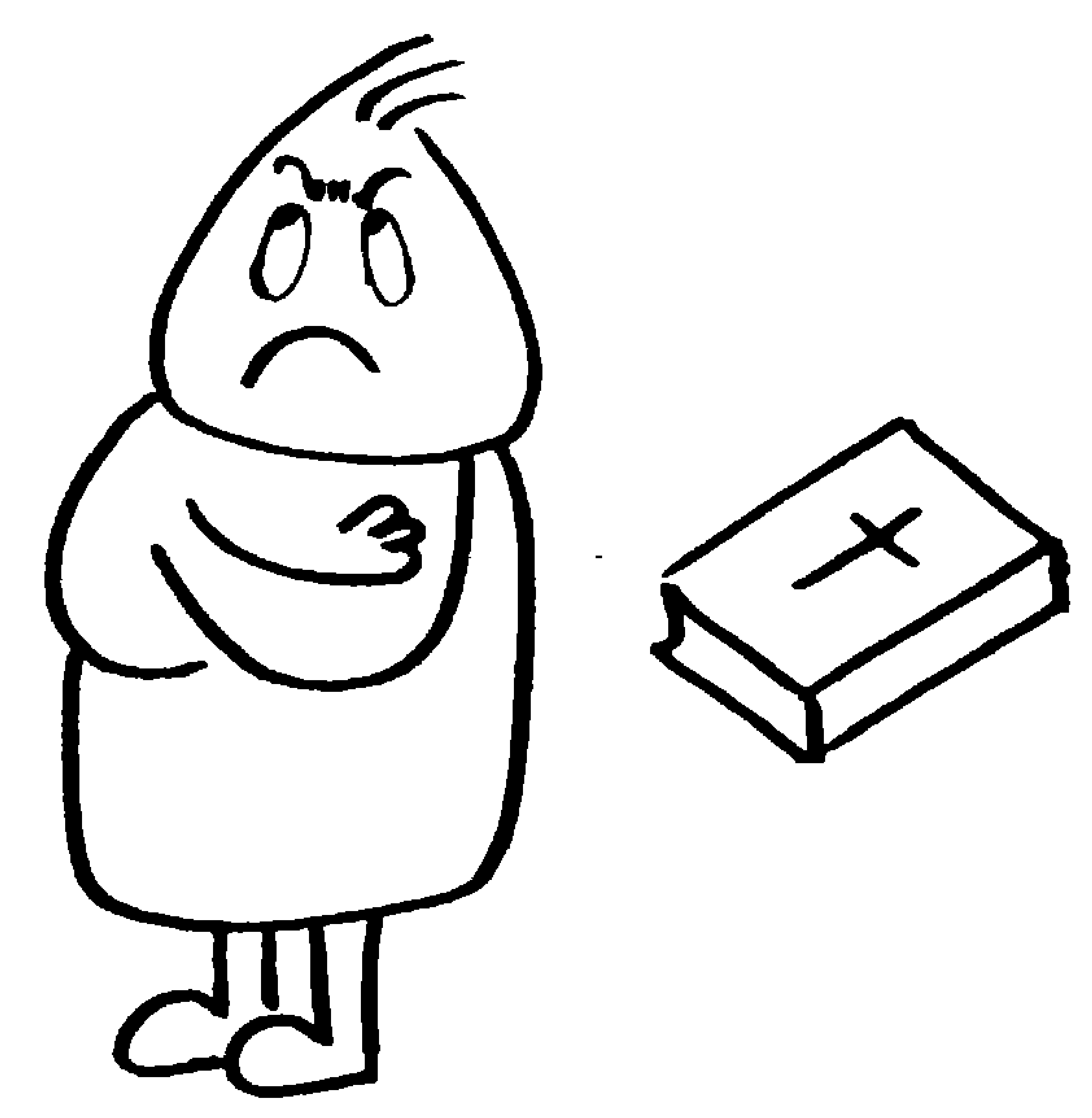
+ ثم في إجابتنا عن سؤال من هو المسيح؟ عرفنا أنه الإعلان النهائي لله عن نفسه.. فهو في محبته وبحثه عن الإنسان دبر خلاصه من الخطية.. فمن خلال موت يسوع المسيح وقيامته كانت لنا الأخبار السارة التي تكشف لنا معني حياتنا وسبب وجودنا.. بل تكون لنا الحياة الأبدية أيضا.

أما بعد.. فقد تعجب بما تناولناه من حقائق.. غير أن الإيمان المسيحي ليس لوحة فنية توجد لأجل الإعجاب بها.. بل المسيحية حياة ومحبة وعمل إيجابي.

كذلك لا يمكننا أن نختار لأنفسنا بعض المعتقدات التي أعجبتنا في الإيمان المسيحي ونتجاهل بعض المعتقدات الأخري.. فالإيمان ينبغي أن يشمل جوهر الإيمان: أن المسيح جاء وأخذ جسداً ومات وقام لكي يخلصنا.

والله نفسه مستعد أن يبين لك الحقائق قائلاً: «أدعني فأجيبك وأخبرك بعظائم وعوائص (أي الأشياء الصعبة) لم تعرفها» (إرميا ٣٣: ٣) وأن نتحاجج معه «هلم نتحاجج (أي نتحاور) يقول الرب» (إشعياء ١: ١٨).. كذلك أن نطلب البرهان مثلما فعل توما فقال له الرب يسوع: «هات أصبعك إلي هنا وأبصر يدي» (يوحنا ٢٠: ٢٧).

لكننا فجأة نجد أن الدائرة قد انقلبت.. ونجد الله هو الذي يسألنا: «اشدد حقويك (أي رجليك) كرجل لأسألك فتجيبني، أين كنت عندما أسست الأرض» (أيوب ٣٨: ٣و ٤) لذلك قد تجد نفسك عند مفترق طرق من المواقف التالية:

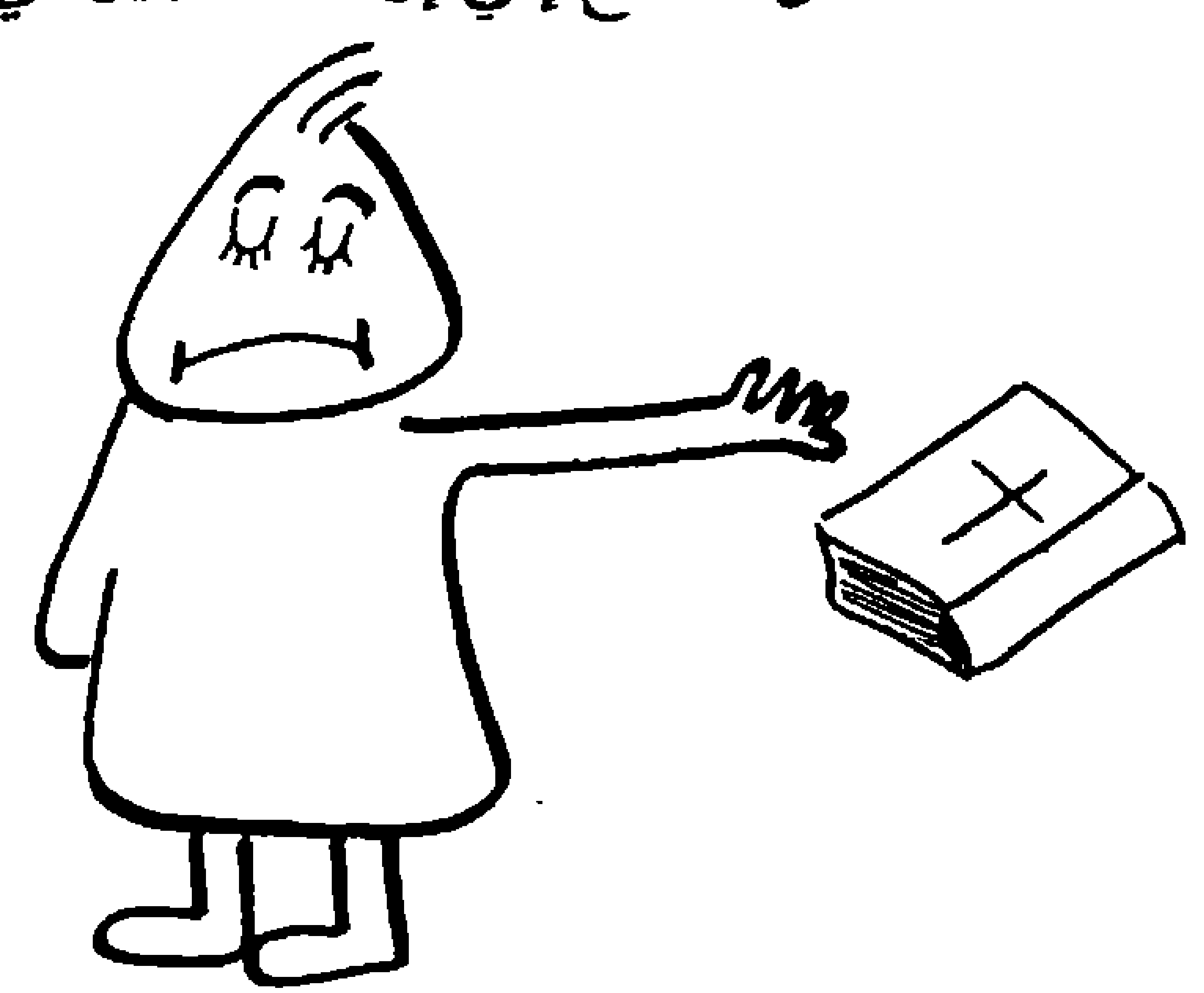


قد تجد نفسك غير راغب في الإيمان.. لكن هذا لا يمنع أنك ستظل تواجه نفس التساؤلات السابقة ولا تستطيع أن تهرب من حقيقة ألوهية المسيح.



وقد نجد أنفسنا **غير قادرين علي فهم الإيمان**.. هنا يجب أن تكون أمينا مع نفسك وتسأل لماذا لا تستطيع أن تفهم؟ وقد تشعر أنك قد تثقلت بكثير من الحقائق والمعتقدات التي تعلو فوق مستوي الإدراك العقلي والمادي.. لكن هذا الأمر لا يجب أن يثنيك أو يعوقك فيمكنك أن تبدأ بنقطة يسهل عليك إدراكها مثل فكرة الله المحب الذي يبحث عن الإنسان.. أو التأمل في شخص الرب يسوع كما عرفناه من حيث تعاليمه وحياته وإعلاناته وأفعاله.. كثيرون من المسيحيين المؤمنين عرفوا الإيمان من خلال إدراك أمر واحد بسيط في الإنجيل مثل معني موت المسيح أو أهمية قيامته.

لكن في أحيان كثيرة نجد أنفسنا لا نفهم لأننا لا نريد ذلك.. ونجد أننا لا نستطيع تغيير طريقة حياتنا التي اعتدنا عليها.. لقد أكد الرب يسوع علي الجزء الخاص بإرادة الإنسان عندما قال: «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي» (يوحنا ٧: ١٧).. فنحن نحتاج إلي إرادة التغيير في حياتنا.



أما إذا **رفضت الحق**.. فليس هذا هو الحل لأنك يجب أن تؤمن بشيء.. فيجب علي الأقل أن تمتحن البدائل التي عرضناها وغيرها من البدائل وتختبر مدي فاعليتها في الحياة العملية.. ومدي إجابتها عن الأسئلة التي سألناها لأنفسنا.. **من أنا؟.. ولماذا وجدت؟ وإلي أين أذهب؟**



فإذا انتهي بك المطاف إلي «**مجرد**» **الاقتناع العقلي** بالإيمان المسيحي دون الاختبار الشخصي فالكتاب المقدس يصف حالة الإنسان الذي يعرف بعقله ولا يعرف بالاختبار الشخصي قائلاً علي لسان الرسول بولس: «فمع أنهم عرفوا الله لم يمجدوه باعتباره الله ولا شكروه بل انحطوا بتفكيرهم إلي الحماقة وصار قلبهم لغباوته مظلما.. إذ قد استبدلوا بحق الله ما هو باطل» (رومية ١: ٢١و ٢٥- كتاب الحياة) وهذا وصف دقيق لأولئك الذين يعتقدون أنهم يعرفون الله.. ولكن في الحقيقة هم يتخبطون في الظلام.

*** لكن ما معني الإيمان المسيحي؟:**

قال الرب يسوع مثلين يوضحان كيف يصل الإنسان إلي الإيمان:

« يشبّه ملكوت السموات بكنز مطمور في حقل، وجده رجل، فعاد وطمره ومن فرحه ذهب وباع كل ما كان يملك واشتري ذلك الحقل».. «ويشبّهه ملكوت السموات أيضا بتاجر كان يبحث عن اللالىء الجميلة فما أن وجد لؤلؤة ثمينة جداً حتي ذهب وباع كل ما يمتلك واشتراها» (متي ١٣: ٤٤- ٤٦- كتاب الحياة).

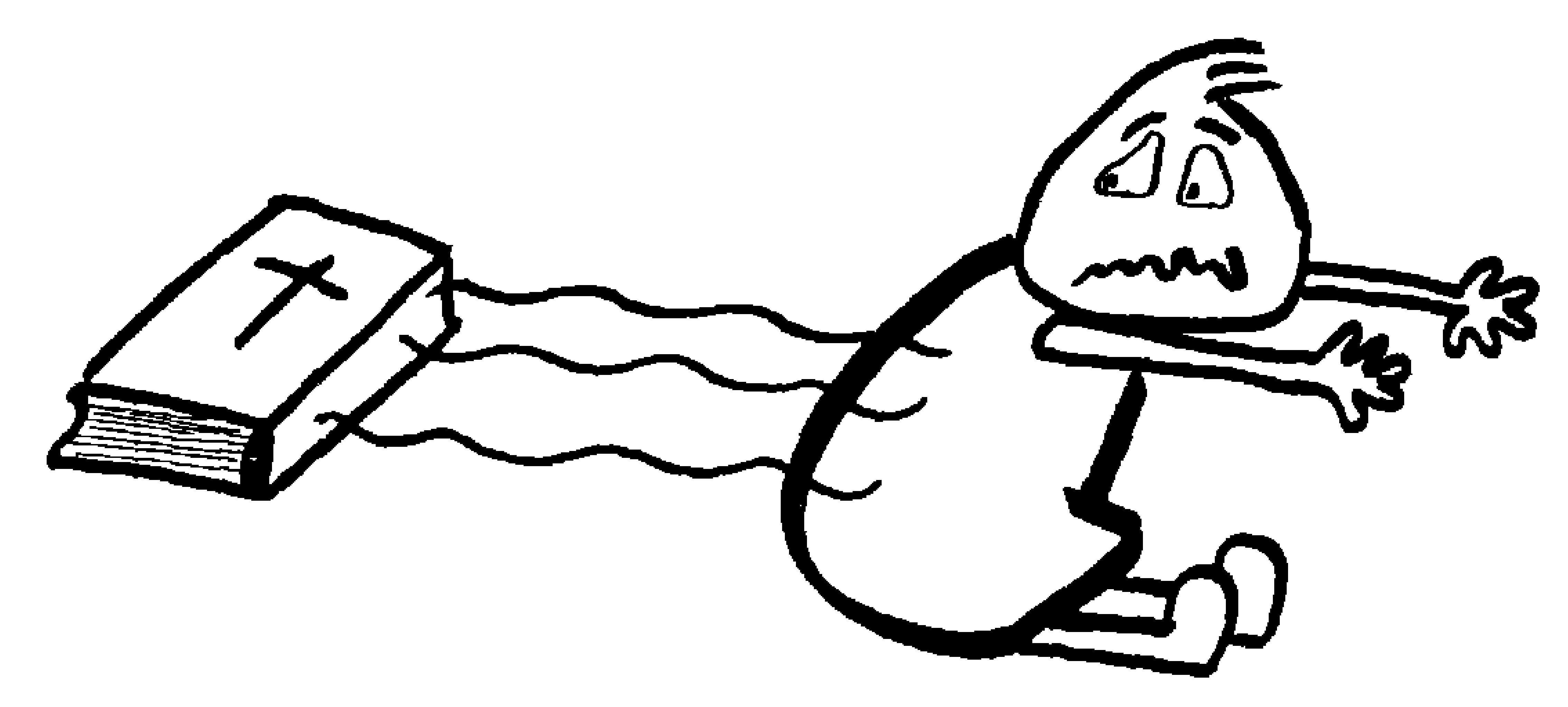
+ **النوع الأول** من الناس وجد كنزاً مخبأً في حقل.. وهو مثل الشخص الذي حينما وجد الإيمان المسيحي أصبح مستعداً أن يضحي بأي شيء في سبيله.

+ **أما النوع الثاني** فهو مثل الشخص الذي يبحث عن الحق المطلق فهو لا يكتفي بما هو عليه من إيمان بل يداوم القراءة والدراسة والمناقشة حتي يدرك معني الإنجيل.. وعند ذلك يكون مستعداً أن يضحي بأي شيء في سبيل أن يستمتع بروعة وجمال ما وجده في المسيح.

إذا كنت قد وصلت إلي هذا المستوي فلم يبق لك إلا اليسير في رحلة الإيمان.

*** كيف نؤمن:**

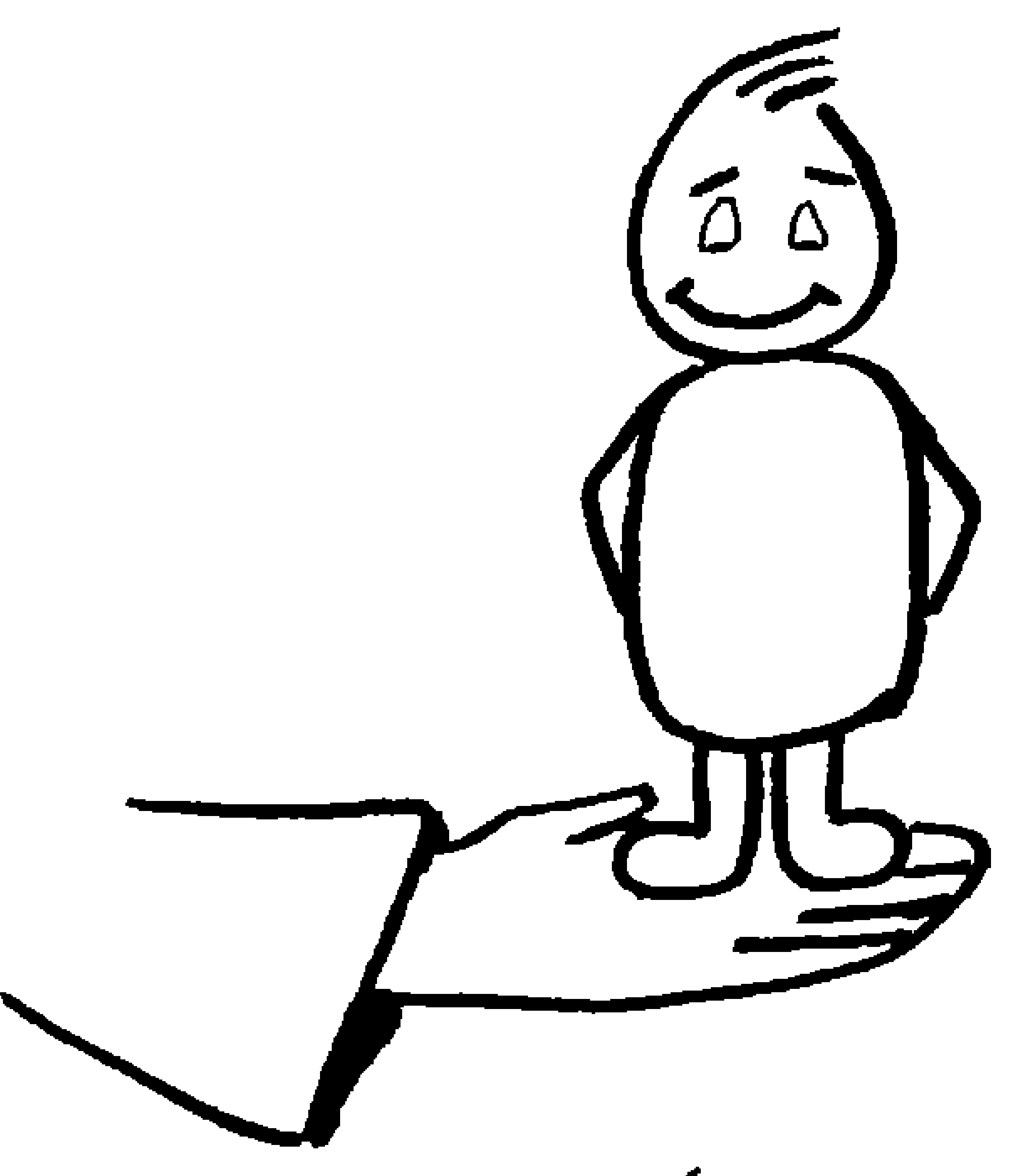
إن الإيمان هو قلب المسيحية ومركزها.. وهو أسلوب سلوكنا اليومي.. مثلا أنت لا تقف في محطة الاتوبيس إلا إذا كان لديك الثقة (الإيمان) في



أن الاتوبيس سيقف في المحطة.. وسيذهب بك إلي المكان الذي تقصده- بغض النظر عن عدم انضباط مواعيده، إلا أنه عندما يأتي (أخيراً) تظهر ثقتك بأن تخطو إلي داخل الاتوبيس ليحملك إلي مقصدك.. لذلك فمعني أن لك إيمان هو أنك **استندت إلي دليل أو برهان قوي يؤيد هذا الإيمان.**

لكن بالطبع هذا المثال يختلف بعض الشيء عن الإيمان المسيحي. إن الإيمان المسيحي هو إيمان بشخص.. فنحن نضع اتكالنا علي شخص نعلم أنه أهل للثقة.. فمثلا إذا أراد شخص أن يجري عملية جراحية لنفسه.. فهو يختار طبيباً معيناً يثق فيه، ولا يسلم نفسه لأي طبيب سواه.. ثم *عند اجراء العملية يسلم نفسه بين يديه.. ثم يدخل في غيبوبة التخدير..*
لقد سلمه نفسه بعد أن وثق فيه.. وهو نفسه **لن يعمل شيئا لكن الطبيب سيعمل كل شيء**.. ثم يحصل في النهاية علي الشفاء..

هذا يماثل وضع الخاطيء المريض بمرض الخطية العضال.. فهو يثق في



الرب يسوع المسيح طبيبه الأعظم.. ويسلم نفسه بين يديه وهو يجري التغيير من الداخل.. فالمسيحي **يثق في المسيح** لأنه جدير بثقته.. فقد علم من الكتاب المقدس أن يسوع هو صورة الله المنظورة وهو الذي أحبنا حتي وضع نفسه عنا، حتي الموت، موت الصليب. يسوع المسيح إذاً هو الشخص الذي نطمئن إلي أن نسلمه مقاليد حياتنا.

إذن الإيمان بيسوع هو أن **نصدق كلامه ووعوده**.. بمعني أنك إذا عرفته ستجد الحياة الأفضل وألا يكون هذا الإيمان مجرد **قبول عقلي** *(أؤمن أن الاتوبيس سيذهب إلي المدينة أو أؤمن في قدرة الجراح وأنه لن يؤذيني)* **بل إيمان عملي** بأن أكون مستعداً أن أظهر ذلك في *اختباري الشخصي* **(أركب الاتوبيس أو أسلم نفسي للجراح)**.. وجراحنا ومنقذنا من كل خطية هو الرب يسوع مخلصنا الصالح والذي ليس بأحد غيره الخلاص.

بعد أن شرحنا الإيمان، وأوضحنا طريق الخلاص- الخلاص من الخطية- تعالوا لنفهم معا العلاقة الشخصية مع الله التي بها نعرفه معرفة وثيقة

وندرك معني حياتنا ووجودنا.

*** متطلبات العلاقة الشخصية مع الله**

١- الإيمان: أي الثقة والتصديق في ترتيبات الله لأجلي.

٢- التوبة: أي تغيير اتجاه حياتنا.

٣- القبول: لترتيبات الله لأجلي.

١- الإيمان:

وهو الذي أسهبنا في شرحه فيما سبق وهو يعني تصديق أشياء حقيقية قد تكون غير منظورة.. فأؤمن مثلا أن هناك إله موجود منذ الأزل يتعامل معي بطريقة شخصية، محب، قادر.. الخ. وأن المسيح هو ابن الله الوحيد وهو قادر علي إعادة علاقتنا مع الله لتكون حسب قصده.. وكذلك تصديق أن يسوع المسيح قد غلب الموت وهو حي الآن.. كما يتضمن الإيمان أيضا أن نضع ثقتنا في الله الخالق ونسلمه حياتنا وأن الرب يسوع هو وحده القادر أن يتعامل مع خطيتنا وفشلنا.

٢- التوبة:

معناها أن يتبني شخص فكرة جديدة وهدفاً جديداً أو يغير مشاعره بمعني أن يشعر الإنسان أن فكره وسلوكه وهدفه السابق كان غبياً أو شريراً أو غير مناسبٍ أو خاطئاً وهذا يولد الشعور بالأسف والندم.

والتوبة ليست مجرد النطق بالاعتراف بالخطية أو هي التعود علي

إدانة النفس أو هي الشعور بالأسف والندم، أو حتي المعرفة الأكيدة بخطأ الاتجاه فقط.. لكن التوبة تشمل العواطف والفكر والإرادة في الإنسان.

+ **فكونها تشمل العاطفة:** لأنها تتضمن الشعور بالأسف، والندم، وهو ما يرتبط بتمني لو أن هذه الأفكار والأعمال لم تكن قد تمت فعلا.

+ **وكونها تشمل الفكر:** فهي تتضمن أن ندرك أن حياتنا حتي الآن كانت تسير بطريقة خاطئة ونريد أن نغير من عقولنا وتفكيرنا.. كذلك الاعتراف بحقيقة فسادنا التام أمام الله.

+ **وكونها تشمل الإرادة:** فهي تتضمن الاستعداد لترك الطريق السابق وإرادة تغيير الاتجاه الكامل لحياتنا.. فنحن نريد أن نغير من عقولنا وتفكيرنا بل واتجاهنا أيضا.

لذلك كان تعريف التوبة بأنها «تغيير في الاتجاه» تغيير ١٨٠ درجة.. وهذا التغيير يشمل كل مكونات الإنسان التائب من عواطف وعقل وإرادة.

ولقد وصف الرب يسوع التوبة الحقيقية قائلاً: «اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً لأن من الثمر تعرف الشجرة» (متي ١٢: ٣٣).

ويقول الرسول بولس عن التوبة الحقيقية مقارنا إياها بالتوبة المزيفة: «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة.. وأما حزن العالم فينشيء موتاً»(٢ كورنثوس ٧: ١٠)

٣- القبول:

أي أن تقبل ما عمله الله في شخص يسوع المسيح علي الصليب لأجلك.

فبالتوبة والإيمان والقبول يمكننا الدخول في علاقة شخصية مع الله.. مع ملاحظة أن ذلك ليس ثمنا للخلاص.. فالثمن هو دم المسيح وما هذه إلا وسيلة فقط.. يعبّر عنها الرسول يوحنا الرائي بتعبير فتح باب القلب: «هأنذا واقف علي الباب وأقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشي معه وهو معي» (رؤية ٣: ٢٠).

*** كيف ومتي:**

إن اختبار الدخول في علاقة شخصية مع الله يمكن أن يحدث بالنسبة للبعض في لحظة من الزمان وللبعض الآخر بصفة تدريجية قد تستغرق أياما أو أسابيع أو حتي سنين.. وهي بالنسبة للبعض شيء يفعلونه بكل الوعي والإرادة الحرة.. فيقول الشخص لله أنا أؤمن أن هذه الأمور صادقة وأنا نادم علي كل شيء كنت مخطئاً فيه وأنا أضع ثقتي فيك.. وقد يحدث لآخرين بصورة عجيبة أن يعلن الله لهم فيها نفسه. وهناك من يقضون مدة من الصراع مع النفس في نهايتها يعلن الله لهم عن نفسه بطريقة عجيبة كما حدث بالنسبة لاختبار القديس أغسطينوس حيث بدأ ذلك معه حين كان في حديقة في «روما» وكان ذلك بعد أن وصل إلي نقطة اليأس في حياته السابقة وعدم قدرته علي اكتشاف الحق.. وها أنا أحكي لك اختباره من كتابه الشهير «اعترافات أغسطينوس»:

«عندما سبرت أغوار نفسي وعصرت منها أسرارها التي يرثي لها، وعندما جمعت كل ذلك أمام أعين قلبى.. انطلقت عاصفة من داخلي تحمل معها طوفاناً من الدموع. لأني شعرت أني مازلت عبداً للخطية.. وفي بؤسى ظللت أبكي.. وإلي متي أظل قائلاً: غداً.. غداً.. لماذا لا أبدأ الآن.. لماذا لا أضع حداً لخطاياي البغيضة في هذه اللحظة؟؟

كنت أسأل نفسي هذه الأسئلة باكياً دائماً بكل حزني المرير داخل قلبي..وفجأة اخترق جدار الصمت صوت طفل يغني من منزل قريب.. أكان صوت ولد أم بنت .. لست أدري. كان الصوت يردد هذه الكلمات: خذه واقرأ، خذه واقرأ.. وبدأت أنظر حولي.. إلي أعلي وإلي أسفل.. لا.. لا.. يمكن أن تكون هذه لعبة من لعب الأطفال التي اعتادوا أن ينشدوا فيها كلمات مثل هذه، وتذكرت أنني لم أسمع مثل هذا من قبل.. فمسحت دموعي ووقفت قائلا لنفسي: «هذا لا يمكن أن يكون إلا صوت الله يدعوني أن أفتح الكتاب المقدس.. وأقرأه».. أخذت كتابى المقدس وفتحته وبصمت قرأت أول جملة وقع عليها بصري: وكما في النهار لنسلك سلوكاً لائقاً لا في العربدة والسكر ولا في الفحشاء والإباحية ولا في النزاع والحسد وإنما البسوا الرب يسوع المسيح (تمثلوا به) ولا تشتغلوا بالتدبير للجسد لقضاء شهواته» (رومية ١٣: ١٣و ١٤- كتاب الحياة).. لم تكن لي الرغبة أن أقرأ أكثر.. وفي لحظة بعد أن وصلت إلي نهاية الآية شعرت وكأن نور الإيمان قد فاض أنهاراً في قلبى وكل الظلمة والشك قد انقشعا بعيداً».

وبالنسبة لشخص آخر يدعي سي. اس. لويس كان قبوله للإيمان علي مرحلتين أساسيتين الأولي عندما قرر أن يرفض نظرته السابقة للحياة وصدّق الإيمان الشخصي بالإله.. والمرحلة الثانية كانت في وقت لاحق عندما آمن أن يسوع هو ابن الله الحي.

هذه الاختبارات أضعها أمامك عزيزي القاريء لا لكي تظن أنك يجب أن تمر بواحدة منها فهذا خطأ.. لأن إيماننا يبني علي أساس ما جاء في الكتاب المقدس فقط.. أما ذكر هذه الاختبارات فلكي نفهم أن الله ليس له طريقة واحدة يتعامل بها مع كل البشر.. لكنه يتعامل مع كل واحد منا علي حدة حسب تكوينه وطريقة تفكيره ونشأته والطريقة التي يراها الله صالحة بالنسبة له.

إن حق الإنجيل هو لكل شخص سواء من عثر علي الحق وهو لم يقصد البحث عنه أو من كان يبحث عن الحق وفي بحثه الدؤوب عنه وجده.

فالشخص الذي يجد الحق ويؤمن به يكون قادراً علي أن يهتف مع الشخص الأعمي الذي استرد بصره بمعجزة صنعها له الرب يسوع قائلا: «.. إنما أعلم شيئاً واحداً.. أني كنت أعمي والآن أبصر» (يوحنا ٩: ٢٥).

بعد أن تصل في قراءتك إلي هذا الحد قد تجد نفسك محتاجاً للتوقف لحظات للتأمل.. أو لتعبر عن إيمانك بالله في صلاة من القلب.. إني أشجعك أن تفعل ذلك الآن.. مثل أوغسطينوس.. أو أن تأخذ الخطوة الأولي في الإيمان والتي قد تكون تغييراً في الفكر أو الإيمان بحقيقة

جديدة.

علي كل.. الله يعرف ما في القلب.

فإذا كنت مستعداً للصلاة.. هاك صلاة مقترحة.. يمكنك أن تصليها الآن.. مع أن الصلاة في حد ذاتها لن تغيرك لأن الله ينظر إلي إخلاص القلب لا إلي كلمات الشفاه:

«أيها الآب السماوي.. أشكرك لأنك أحببت العالم وأحببتني.. أنا الشخص الخاطيء، أشكرك لموت ابنك يسوع لأجلي علي الصليب. إنني الآن أعلن توبتي وتغيير اتجاه حياتي مسلما بفشلي في خلاص نفسي وأقبلك رباً وسيداً علي عرش قلبي..

أنا أؤمن أنك تستطيع أن تغيرني حسب وعدك في كلمتك.. باسم المسيح.. آمين».

فإذا كنت قد رفعت قلبك إلي الله في إيمان.. أقول لك من قلبي:

مرحباً بك في عائلة الله.

الفصل السادس

هل الحياة المسيحية ممكنة

ثمة أمور قد تحمل البعض علي أن يتساءل قائلا: هل الحياة المسيحية ممكنة؟.. فقد يقرأ شخص مثلا موعظة المسيح علي الجبل (إنجيل متي من أصحاح ٥- ٧) فيقول: «ياليتني أستطيع أن أحيا حياتي بهذه الطريقة.. أحب أعدائي، ولا أجازي عن شر بشر، ومن ضربني علي خدي الأيمن أحول له الآخر أيضا.. الخ».

إن متطلبات ومقاييس هذه الحياة صعبة.. فمن يمكنه أن يعمل بها فعلا في حياته اليومية؟

وإزاء هذا يتعين علينا أن نوضح الآتي:

*** يسوع المسيح يدعو أتباعه إلي حياة مسيحية كاملة:**

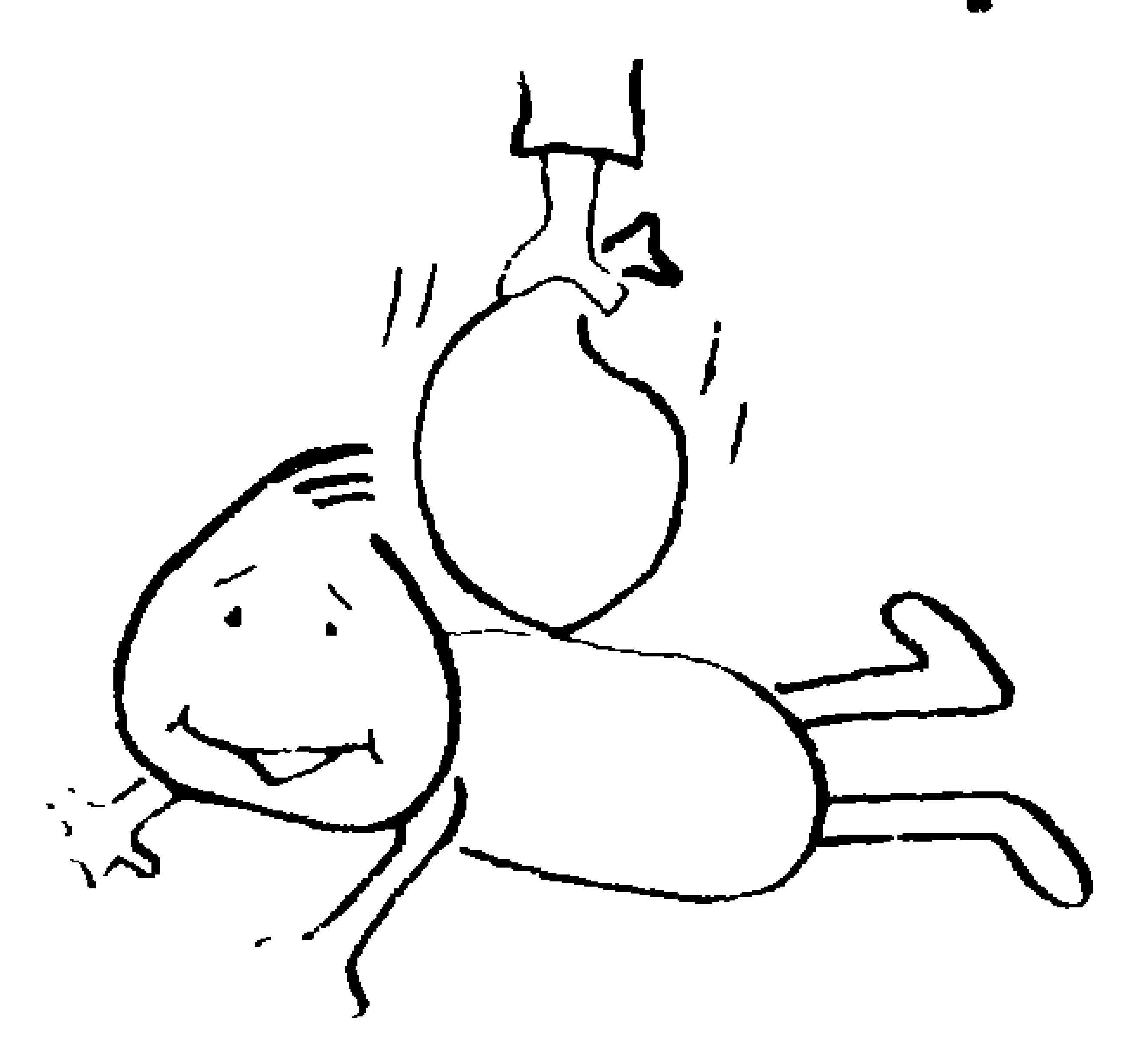


قال يسوع: «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (متي ٥: ٤٨) وقد يقول قائل إن يسوع علّم التلاميذ أن يصلوا قائلين: «.. واغفر لنا ذنوبنا».. فكيف يتفق هذا مع ذاك.. وهنا نوضح أن الرب يسوع قصد من ذلك أن يعرّفنا أن الكمال يقف أمامنا كهدف، يفتح مجالا غير محدود للنمو، نظل نسعي إليه العمر كله.. إلا أننا لن نصل إليه في حياتنا علي الأرض.. ثم أن الرسل يعلموننا نفس المبدأ فيقول الرسول بطرس: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم قديسين في كل سيرة» (١ بطرس ١: ١٥) بالرغم من أنه يعلمنا في موضع آخر أن أمامنا الكثير في طريق كمال الله «وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففاً» (٢ بطرس ١: ٥و ٦) .. وكذلك الرسول يوحنا يخبرنا أن «كل من ولد من الله لا يخطيء» (١ يوحنا ٥: ١٨): ذلك لأن طبيعة الله فيه ولأن الله أبوه فهو لا يستطيع أن يستمر في الخطية ولكنه يقول في نفس الرسالة: «إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا.. لكن إن إعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتي يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١ يوحنا ١: ٨و٩).. فالكمال هو هدفنا، وهذا من مواطن روعة المسيحية. فالكمال الأخلاقي والروحي يجب أن يكون دائماً هدفنا إلا أننا لن نصل إليه هنا علي الأرض.. فعندما يكتب علي عربة ما أن سرعتها ١٨٠ كم/ ساعة فإن ذلك لا يدل إلا علي السرعة القصوي لها.. فهذا هو الهدف الكامل لصانعها.. لكننا عندما نستخدمها نجد أنفسنا لا نستطيع أن نصل إلي هذه السرعة.. فهذا هو حد الكمال بالنسبة

للسيارة.. فهل معني ذلك أن السيارة لا تصلح للاستخدام.. بالطبع لا، طالما أنها تحقق الغرض بالنسبة لي فهذه مفيدة وجيدة بالرغم من عدم تحقيق الكمال الذي وضعه صانعها كهدف.

فنحن نبدأ الحياة المسيحية وذواتنا تسيطر تماماً علي حياتنا.. وهذه الذات لا تتركنا بسهولة.. فهي التي قضينا أعواما لننميها. لذلك فحياة الإيمان هي عملية مستمرة بها نهزم سلطان الخطية الساكن فينا، وبالرغم من الشد والجذب في معركة المسيحي الروحية بعد الإيمان إلا أن قلوبنا تتجه نحو الله الذي يقيمنا من أي فشل ويهبنا الفرح العظيم والسلام الكامل.

*** الحياة المسيحية هي بداية حياة جديدة لنا:**



تبدأ الحياة المسيحية بالولادة الروحية (يوحنا ٣: ٥) أي بالإيمان بالرب يسوع المسيح (أفسس ٢: ٨و٩).. والحياة المسيحية هي علاقة شخصية يومية بين المؤمن والمسيح، تعاش هذه الحياة بالإيمان.. والإيمان هو الثقة..

إذاً فنحن نعهد بحياتنا إلي عنايته لأنه قد برهن نفسه أنه جدير بثقتنا فيه وذلك بموته من أجلنا وقيامته من أجل تبريرنا وحضوره الدائم.

عند الميلاد الجسدي يحصل الإنسان علي أشياء كثيرة لا يشعر بها مثل اسم العائلة والمحبة والثروة والعناية والحماية.. هكذا أيضا عند الميلاد الروحي يصبح الإنسان ابنا لله فيحصل علي الحياة الأبدية والميراث الروحي ومحبة الله وعنايته وحمايته.. قد أعطانا الله هذه النعم بفضل محبته العظيمة ولا تعتمد عطاياه علي استحقاق فينا ولا علي مشاعر الإنسان المتقلبة.. ولكنها تعتمد علي مواعيد الله الثابتة.

ويمكننا أن نلخص بعض بركات هذه الحياة الجديدة للمؤمن علي النحو التالي:

١- حياة المسيح الجديدة في المؤمن تضمن له الحياة الأبدية.. فمن له الابن (أي يسكن الابن في حياته) فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة. كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي «تعلموا» (لا لكي تظنوا أو تسعوا) أن لكم حياةً أبديةً(١ يوحنا ٥: ١٢و ١٣).

وهنا نكون قد أتممنا الإجابة علي السؤال الثالث والأخير: «إلي أين أذهب؟».

٢- هذه الحياة الأبدية لا تبني علي المشاعر بل علي وعود كلمة الله الثابتة.. فالمشاعر غير ثابتة كما أسلفنا.. ولكن كلمة الله ثابتة لا تتغير

ونحن نثق أن لنا حياة أبدية، لأن الله وعد بذلك وهو لن يخدعنا ولن يكذب أبداً. اقرأ أيضا (يوحنا ١٠: ٢٧- ٣٠).

٣- حياة المسيح الجديدة هي حياة التحرر من سلطان الخطية: فنحن علينا أن لا نخطيء لكننا قد نخطيء، وهنا تواجه المؤمن الشكوك.. فهو بعد أن قبل المسيح يظن أن أية خطية في حياته تفقده الخلاص.

عزيزي إن الحياة الجديدة مثل من انتقل من المعيشة في مكان قذر إلي منزل نظيف مريح فهل وجود بعض الأتربة في المنزل الجديد يعني أننا عدنا إلي المكان القديم؟ بالطبع لا، لكن وجودنا في منزل نظيف مدعاة لنا أن نحافظ علي نظافته.. كذلك إذا شابت حياتنا الجديدة خطية ما فلنسارع بالاعتراف بها وطردها من حياتنا والاستمتاع بشركة الحياة الجديدة مع المسيح (١ يوحنا ١: ٨و٩).

٤- الحياة المسيحية الجديدة تتطلب شركة جديدة: ينقسم العالم إلي نوعين من الناس:- مؤمنين قبلوا المسيح، وغير مؤمنين لم يقبلوا المسيح.. وقد تتساءل عزيزي القاريء: ماذا أفعل مع أصدقاء حياتي القديمة؟ وقد تقول إني لا أستطيع البعد عنهم.. أقول لك إن حياتك الجديدة هي أهم شيء تتمسك به.. فيجب أن ترعاها وتعمل حساب النفقة.. فالأصدقاء القدامي يجب استبدالهم بالتدريج بأصدقاء مؤمنين يحيون بالمسيح.. وهذا لا يعني أن تكرههم أو تحتقرهم.. بل أن تسعي لتشهد لهم بما عمله الله في حياتك فتربح نفوسهم.

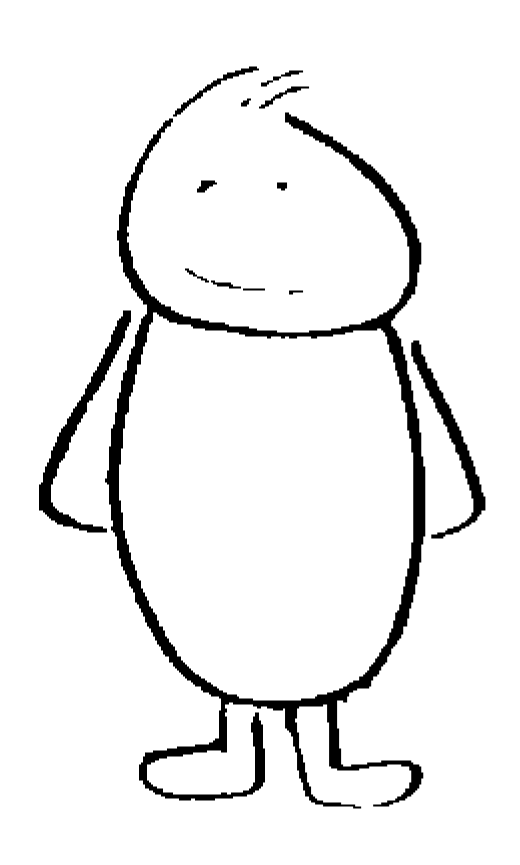
٥- الحياة المسيحية الجديدة تتطلب تغذية روحية مستمرة: فيقول

الرسول بطرس: «وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش (الذي هو كلمة الله) لكي تنموا به» (١ بطرس ٢: ٢).

هكذا أنت عزيزي القاريء عليك أن تستمع، وتقرأ، وتحفظ، وتتأمل في كلمة الله لتفهم ماذا يريده منك الله لتحفظ وصاياه وأحكامه ووعوده وبالتالي يكون لك معرفة بما يريد منك. إن كلمة الله تهب للمؤمن حكمة وإرشاداً، وطهارة، وفرحاً، وسلاماً.. لمزيد من المعرفة عن كلمة الله اقرأ مزمور ١١٩ (وهو أطول أصحاح في الكتاب المقدس وكله يتكلم عن كلمة الله) أعداد ١- ١٦، ٩٧- ١١٢.

ثم بعد قراءتك للكلمة، توجه لله مصليا، والصلاة هي الوسيلة للكلام مع الله، **سبحه، اشكره، اعترف له بكل خطاياك، أطلب منه لأجل نفسك والآخرين.. تأمل في شخصه**، وكلما تكلمت معه أكثر سوف تعرفه وتحبه أكثر.. عين لنفسك كل يوم وقتاً محدداً تكون فيه متيقظاً وتكون فيه وحدك، وافتح كتابك المقدس الخاص بك، واقض كل يوم نصف ساعة كبداية مع الرب.. ثم زد وقتك في الشركة معه كل يوم.

*** الحياة المسيحية هي حياة الروح القدس فينا:**



إن الله لا يتوقع لأي منا أن يحيا الحياة المسيحية بإمكاناته الذاتية.. فالحياة المسيحية بغير معونة الروح القدس تكون صعبة، ومن وجهة النظر البشرية هي مستحيلة.. ولكن في يسوع وحده يمكننا أن نحياها.. فقد أعطانا الروح القدس ليجعلنا نستطيع أن نحيا هذه الحياة في هذا العالم.. لكن كيف تأتي مساعدة الله للمؤمن؟

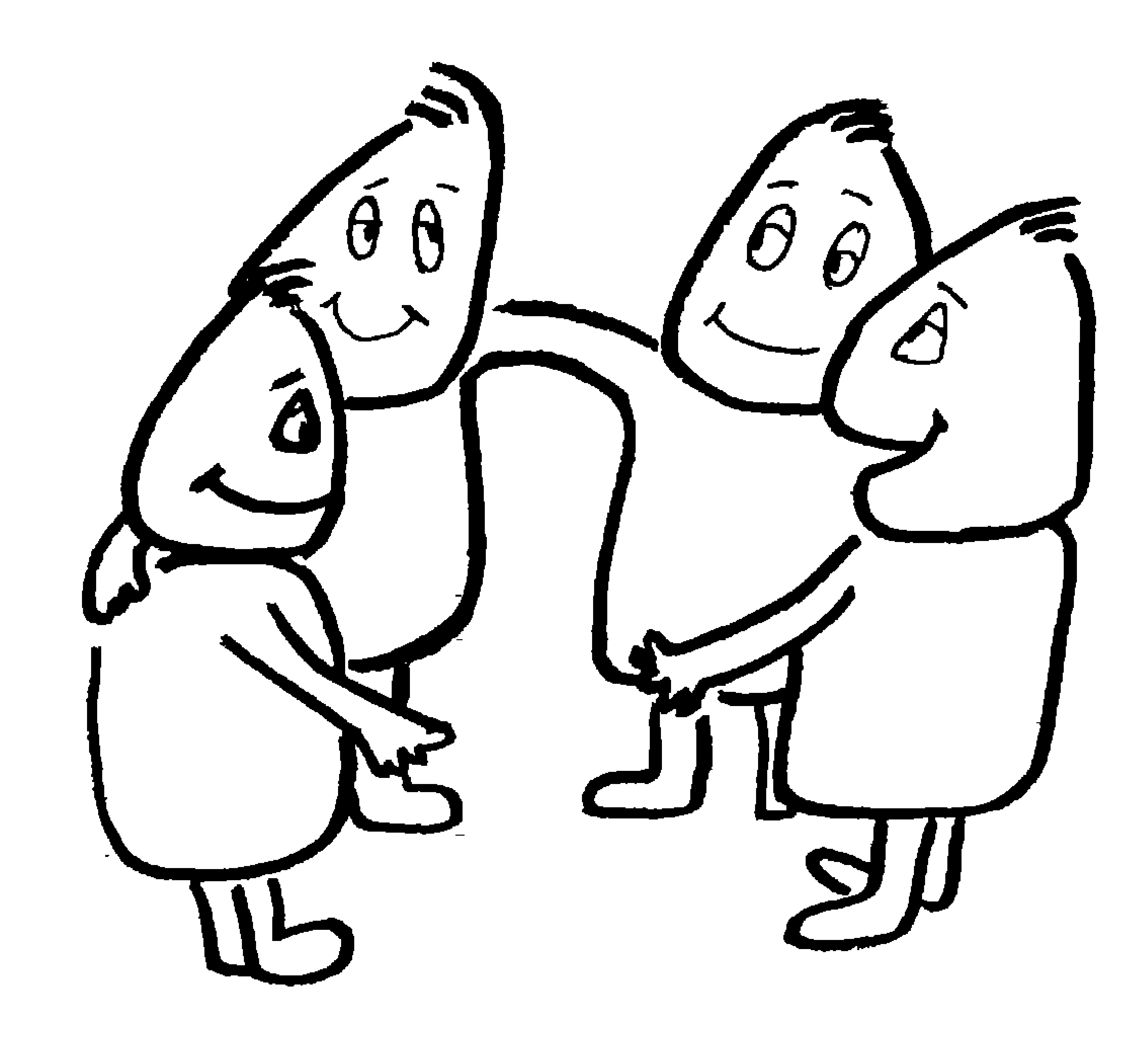
إنها تأتيه عندما يُعطي الروح القدس- الساكن فينا بالميلاد الجديد- حيث يعطينا القوة لقلوبنا وعقولنا وإرادتنا فهو يحيا فيك ويفكر في عقلك ويعبر عن نفسه في عواطفك ويتكلم بصوتك، حتي لو لم تشعر بذلك وعلي هذا فالحياة المسيحية ليست محاولة تقليد المسيح.. ولكن المسيح يعطيك حياته بالروح القدس ويحيا فيك.. فيعمل فيك وبك.. والحياة التي يسيطر عليها يسوع هي الحياة التي تثمر ثمر الروح (انظر رسالة غلاطية ٥: ٢٢و ٢٣)

وأيضا تأتي هذه المساعدة عن طريق الشركة والعبادة في المجتمع المسيحي فالله يساعد المؤمنين بطرق عديدة فهو يقودنا لنصلي ونسبح ونعبد الله ونفهم الحق الكتابي ونحب الآخرين حتي أعداؤنا ونثبت في المسيح في هذا العالم وأن نحتفظ برجاء السعادة في الحياة المجيدة الآتية.

والرسول بولس يضع قيمة عالية جداً لحياة الروح القدس فينا.. فهو يصف الحياة المسيحية بأنها (الحياة في الروح)، أو (السلوك بالروح) ويدعو المسيحيين بأن (يمتلئوا بالروح).. كل هذا يعرفنا سر من أسرار الحياة المسيحية (وأقصد بكلمة سر هنا شيئا كان مخفياً لشخص ثم أعلن

له فيبدأ يكتشف غناه وبركته لحياته) هذا السر أننا نستطيع أن نحيا الحياة المسيحية بقوة الروح القدس الذي هو الله العامل في قلوب المؤمنين.

*** الحياة المسيحية نحياها في شركة الكنيسة المسيحية:**



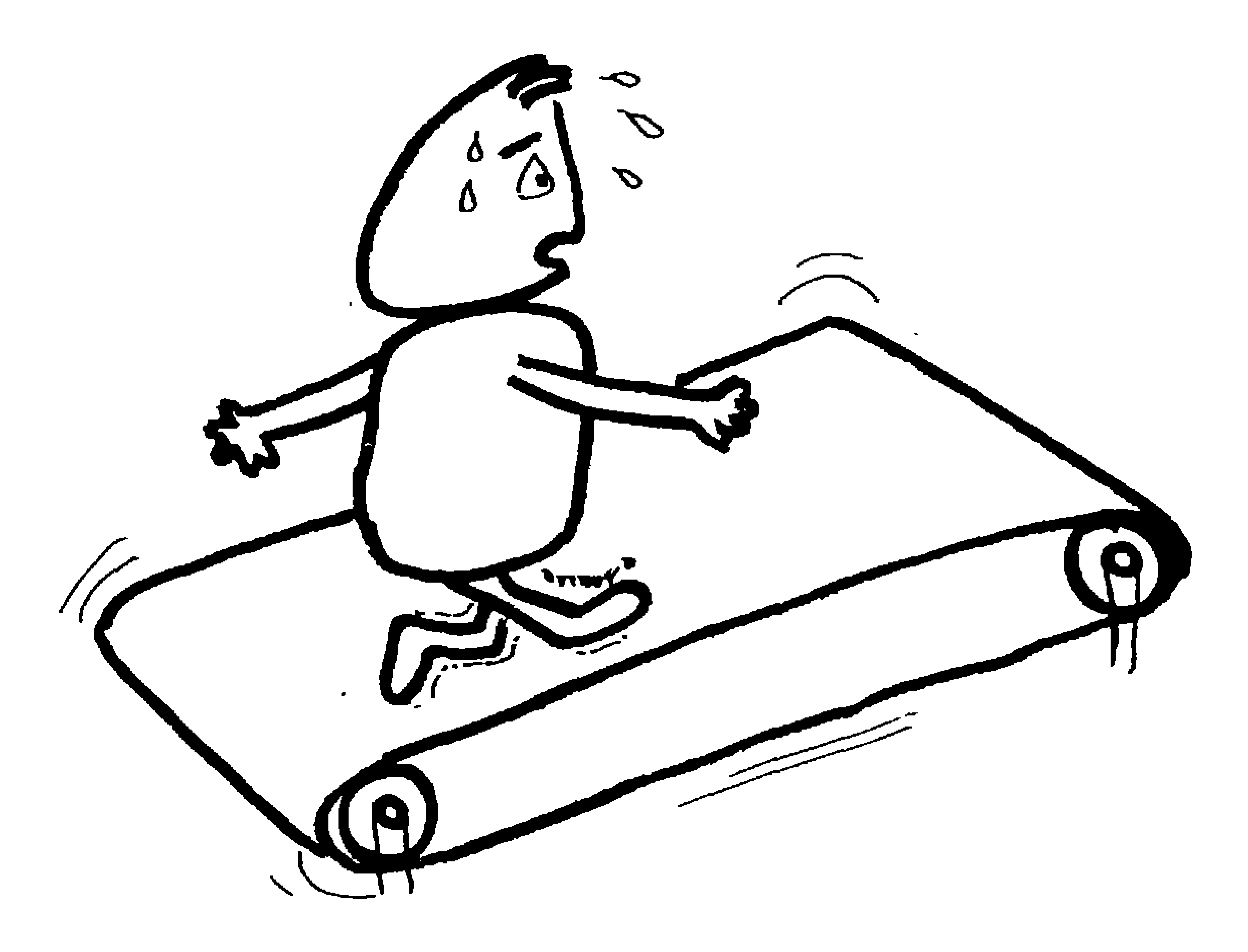
ان الله لا يحب أن يحيا أولاده المؤمنين في عزلة.. فعندما دعا يسوع تلاميذه كوّن منهم مجموعة وشجعهم علي الخدمة معا ليساعدوا بعضهم البعض وليصلوا بإرساليته إلي كل العالم وقد تكونت الكنيسة من جماعة

المؤمنين التي قال عنها الرب «ها أنا معكم كل الأيام إلي انقضاء الدهر» (متي ٢٨: ٢٠) ففكرة الكنيسة هي فكرة هامة للغاية فقد استخدم كتّاب العهد الجديد أكثر من ٩٠ تعبيراً مختلفاً ليصفوا بها الكنيسة في صور مختلفة مثل: **«بيت الله»، «جسد المسيح»، «كهنوت ملوكي»، «هيكل روحي»**.. الخ

فالعهد الجديد يصف الكنيسة **بالجسد** الذي رأسه المسيح وهو أحد أهم التشبيهات.. حيث أن **الجسد** به أعضاء كثيرة لها وظائف متنوعة مثل العين، والفم، واليد، والرجل .. الخ، كذلك الكنيسة بها أعضاء مؤمنون كثيرون لهم مواهب مختلفة، وكما يتعاون أعضاء الجسد معاً دون أن يحتقر عضو الآخر أو يفتخر عضو علي الآخر حتي يستطيع الجسد أن يعمل كله بانسجام وكفاءة.. كذلك أعضاء الكنيسة يتعاونون معاً بانسجام، وكفاءة. فكل شخص داخل الكنيسة له خدمة يكمل بها عمل الآخرين.. فالشيوخ مثلا يفتقدون الصغار ليعلموهم. والشباب يساعدون الكبار في أعمال لا يقدرون عليها بحكم السن.. وهكذا نجد أن أعضاء الكنيسة الكثيرين يساعدون بعضهم البعض ليقووا بعضهم البعض **ويعلمون** معا في خضوع للرأس الذي هو المسيح ليتمجد المسيح في **كنيسته علي الأرض.**

*** الحياة المسيحية ليست سهلة:**

فلسوف نلقي الكثير من محاربات **الجسد والعالم والشيطان** ولكن هذا لا يفت في عضدنا ولا يثبط همتنا ولن نسبح مع التيار ذلك أن السمك



الذي يستطيع أن يسبح ضد التيار رغم الصعوبة والمعوقات هو سمك حي، أما السمك الذي يحمله التيار حيثما اتجه فهو سمك ميت.. هكذا نحن إن تمسكنا بإيماننا في كل ظروف حياتنا.. فلسوف تتحقق لنا النصرة علي كل تجربة والغلبة علي كل ضيقة وهذا يدل علي أن المسيح حي فينا.. فتطبيق كلام المسيح علي الجانب الشخصي من حياتنا يكون أمراً سهلاً، ولكن عند احتكاكنا بآراء الآخرين ومشاكلهم وخاصة في أمور حساسة يدخل فيها المال والممتلكات والوضع الاجتماعي والكرامة الشخصية.. الخ نجد أن تطبيق التعليم المسيحي يدخلنا في تحديات كثيرة بسبب رد فعل الآخرين.. لذلك شدد الرب يسوع علي أن حياة التلمذة لابد أن يلازمها

«حمل الصليب» كل يوم والتبعية له.. فما وعد به الله من بركة ومساعدة وإرشاد لا نناله إلا من خلال تجارب الحياة الصعبة، فالله لا يعدنا بحياة ناعمة خالية من المعوقات كما لا يسمح لنا بأن ننسحب من مجتمعنا البشري إلي حد المقاطعة (*) لكن الله وعد أن يساعد المؤمنين لكي يجدوا سلاماً وسط العاصفة ونوراً وسط الظلمة.

****

هل هذا كل شيء في الحياة المسيحية..

أقول: بل هذه هي البداية..

ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة..

ويالها من خطوة.

(*) كما قال الرب يسوع: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يوحنا ١٧: ١٥)

ملحق

كيف تعرف من أنت، وسبب وجودك

أولا: لتعلم أنك مخلوق علي صورة الله، وأن الله ميزك بهذا لتكون لك شركة معه.. وهذا ينبع من محبة الله العظيمة للإنسان وخطته الرائعة له.

اقرأ (سفر التكوين ١: ٢٧و ٢٨، إنجيل يوحنا ٣: ١٦، ١٠: ١٠)

ثانيا: لابد للإنسان أن يعرف الله معرفة شخصية، ليستطيع أن يعرف من هو، وسبب وجوده.. حيث أن العلاقة الشخصية مع الله خالق الإنسان تجعلنا نعرف الله، وبالتالي نكتشف سر وجودنا وهدف خلقنا ومعني حياتنا وقيمتها، اليوم وإلي الأبد (اقرأ: يوحنا ١٧: ٣).

ثالثا: فصلت الخطية بين الله والإنسان وصار الإنسان بلا معرفة لله.. ففقد معني وجوده وصارت هناك أسئلة كثيرة بلا جواب عنده. والإنسان بدون الله مستحق لغضبه وعقابه. (رومية ٣: ٢٣، ٦: ٢٣).

رابعا: يسوع المسيح هو إعلان الله النهائي عن نفسه فبتجسده في صورة إنسان عرفنا من هو الله وبموته قدم نفسه ذبيحة عنا حاملاً عنا وزر خطايانا وبقيامته صار لنا التأكد من النصرة النهائية علي الشر والخطية واستحقاق الحياة الأبدية (رومية ٥: ٨، أعمال ١: ٣، يوحنا ١٤: ٦).

خامساً: ينبغي علي كل منا أن يقبل بالإيمان عمل المسيح الفدائي علي الصليب ليدخل في علاقة شخصية مع المسيح ابن الله فيعرف الله لأن هذا هو السبيل الوحيد الذي به تعود العلاقة بين الله والإنسان فيتخلص الإنسان من الخطية وسلطانها وعقوبتها ويدخل في شركة مع الله.

هل راودتك مثل هذه التساؤلات:-

من أنا؟.. من أكون.. لماذا ولدت؟.. ولماذا أموت؟

من هو الله؟.. وما هي صورته؟.. وما هي طبيعته؟

إلي أين أذهب بعد هذه الحياة؟

كيف عرف الإنسان الخطية؟

هل يؤمن المسيحيون بإله واحد أم بثلاثة آلهة؟

هل التمسك بالمثاليات أمر ممكن في الحياة اليومية؟

هذه التساؤلات وغيرها تجد إجابتها في هذا الكتاب.

مراجع الفصل الأول

١- رامز عطا الله- كم أساوي- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٨٥.

2 - The World Book Encyclopedia V.7 U.S.A 1981.

3- The new Encyclopedia Britanica V. 14 pp. 387 Chicago, 1985.

4- Allan J., **A Book of beliefs**, Lion's Publishing, London, 1987.

5- Field D., Toom P., Real Questions, Lion, s Publishing, London, 1982.

6- McDowell J. **His Image My Image**, Here,s Life Publishing, CA, 1990.

7- Packer J. **Knowing God** I.V.P. 1975.

8- Field D. **The World about us**, lion,s Publishing, London, 1985.

9- Chapman C. **The Case for Christianity**, Lion,s Publishing, London 1976:

مراجع الفصل الثاني

١- د. ق فايز فارس- الهي ما أعظمك- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٨٩

٢- د. ق فايز فارس- الاقتراب إلي الله- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٨٥

٣- علم اللاهوت النظامي- دار الثقافة- الباب الرابع- القاهرة- ١٩٧١

4- Drane J., Introducing **The old Testament**, Lion's Publishing, London 1987.

5- Allan J. **A Book of Beliefs,** Lion,s Publishing, London, 1987.

6- Knowls A. **Discovering Prayer,** Lion;s Publishing, London, 1987.

7- Field D. Toom p. **Real Questions,** lion's Publishing, London, 1982

8- Packer J. Knowing God, I.V.P. 1975.

مراجع الفصل الثالث

١- علم اللاهوت النظامي- دار الثقافة- القاهرة - ١٩٧١

٢- د. صموئيل حبيب- السلوك المسيحي وتحديات العصر- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٧٧

3- Vines Expository Dictionary of the Bible New Testament Words Fleming H. Revell Company, Westwood, 1966.

4- Hicks R. Bewes R, **Understanding Bible Truth,**

Creative Publishing Vol 1, London, 1981.

5- Milne B. **Knowing the truth**, I.V.P. England,

1982.

6- Hammond, **In Understanding Be Men**, A hand Book of christian Doctrin I.V.P. part 3, 1968.

مراجع الفصل الرابع

١- د.ق فايز فارس- إلهي ما أعظمك - دار الثقافة- القاهرة- ١٩٨٦.

٢- جوش مكدويل- برهان يتطلب قرارا- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٨٣.

3- **The Hand Book of Christian belief**, the Lion's Publishing, part 2 London. 1982.

4- Hicks R. Bewes R., understanding Bible Truth, part 3, creative Publishing, London, 1981.

5- Knowles A. **Finding faith**, Lion's Publishing, London, 1983:

6- Jeremias J. **New Testament Theology**. SCM

press. London, 1981.

7- Field D. Toon P.**Real Questions,** Lion's Publishing, London, 1982.

مراجع الفصل الخامس

1- Chapman C., **The Case for Christianity,** Sec 7, Lion's Publishing London, 1976.

2- Lewes C.S. **Surprised by Joy**, Collins, Fontana, 1959, p189.

3- Augustine Confessions, VII. 12

4- Field D. Toon P. **Real Questions,** Lion's Publishing 1982.

5- **Kittel,s Theolgical Dictionary of the New Testament,** Eerdmans Michigan 1983, vol 4 pages 626- 629.

مراجع الفصل السادس

١- بيل برايت- عشر خطوات نحو النضج المسيحي- دار الثقافة- القاهرة- ١٩٧٥

2- Field D. Toon P. **Real Questions,** Lion's Publishing, London, 1982

3- Mags Law, **A Way of Living**- A faith for Life Series- Lion's Publishing, London, 1986.

هـذا الكتـاب

رحلة فكرية ممتعة تصور ما يجول فى ذهن الشباب من أفكار ومعضلات يريد لها حلا .

تبدأ هذه الرحلة بالبحث عن معنى وجود الإنسان ثم البحث عن الله وعلاقته بالإنسان ، ثم تنتهى الرحلة بالوصول إلى هدف الحياة .

كتاب هام لكل شاب ولكل باحث عن حقيقة الحياة .



